رواية

ثمن الفضيحة

محمود السيد

obeikandl.com

الطبعة الأولى
الكتاب : ثمن الفضيحة
المؤلف : محمود السيد
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم الغلاف : احمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٦٨٣٦ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 776 - 097 - 3

التجهيزات الفنية والطباعة
دار يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

جميع الحقوق محفوظة

obeikandl.com

إهداء

الذين تحسبهم أغنياء من التعفف، الطامحين إلى الحياة بكرامة،
إلى فقراء الوطن الجريح .. أهدى كتابى

مع أرق تحية

محمود محمد السيد

القاهرة في ١٥ / ٤ /٢٠١٥

obeikandl.com

obeikandl.com

امتلأت المقاهي عن آخرها والشوارع خلت من المارة في تلك الساعة من ذلك اليوم المشهود في حياة مصر وقد التفت حول زعيمها تنتظر كلمة منه تبدد حالة الحيرة التي يمر بها الناس ، في نهاية كلمته أعلن أنه مستعد أن يذهب إلي آخر العالم لتحقيق السلام، راجت الكلمة وتناقلتها أجهزة الإعلام في ما يشبه السعار وانبرى رجال الدين يرددون: وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتغيرت أسماء مدن وكبار وواجهات محال في سباق محموم، ومنذ ذلك الحين وما تلاه قذفت الجامعات أعداد كبيرة تخرجوا في مختلف الكليات، أطباء ومهندسون وجيش من الموظفين جرار، لم يكن وليد حسني آخرهم فقد هبت رياح التغيير ونشطت قوى المعارضة وزاد عدد المعتقلين وامتلأت السجون عن آخرها، أكثرهم أبرياء أصحاب فكر، كتّاب وفنانين وشعراء ورجال دين وعاهرات ومثقفين، أراد النظام التخلص منهم بضربة واحدة رُدت إليه لتدخل البلاد في مرحلة أوجدت واقعاً جديداً خلق طبيعة جديدة لدى الشعب .

في مكتب أمن الدولة تقدم الملازم وليد حسني ليتولي مهام عمله في مجال مكافحة النشاط السياسي، شهدت تلك الفترة مرحلة مضطربة وملتبسة وشرخ كبير في وجدان الشعب، ظهرت طبقة جديدة من رجال المال والأعمال أثرّوا ثراءً فاحشاً علي حساب الشعب وزاد معدل البطالة وتراجع المد القومي واختفت أغان كان لها في القلب مكان وتراجع دور الفن وحل محله فن هابط وظهر الأدعياء، من أول أدعياء الأدب إلي أدعياء السياسة إلي كل شيء .. حتى الرجولة! في ظل غلاء أسعار لا طاقة للناس به، في هذا المناخ تولى وليد حسني مهام عمله وقد تغيرت شخصيته وأصبح هناك معادل

آخر، فكما أن الحب يثير الحب كذلك العنف يثير العنف، في ذلك الجو المشوب بالتوتر واصل عمله، ذلك الشاب الرقيق سليل الأسرة العريقة تحول إلى وحش كاسر، هوس السلطة أطاح به، يسير بين الناس يتأمل الوجوه وكأنه يُعلن عن نفسه، الملابس المدنية لا يطيقها .. تُشعره بالضآلة، وفي سنوات قليلة أثبت جدارة وكفاءة وطموح لا ينتهي، وبقدر ما كان شرساً في عمله بقدر ما كان يتمتع بخفة ظل نادرة وقد جمع في شخصيته من المتناقضات الكثير, من كان يتصور أن المشرف علي عمليات التعذيب عازف كمان من الطراز الأول، صاحب نغمات تأسر قلوب النساء ورغم ذلك لم يتزوج ..

وبإصبع آمر أشار للحارس أن يأتي بالقهوة ليعالج صداعاً أطاح برأسه، هكذا حاله قبل تنفيذ كل مأمورية، صدرت الأوامر بالتحرك للقبض علي خلية شيوعية يتزعمها شاعر معروف ومعه رفيق دربه الشاعر المعارض الرافض للتصالح مع العدو تحت أي ظرف، انطلق صوت الحارس: انتباه .. فيما السيارة رابضة خارج أسوار المبنى لتنطلق حاملة من المسلحين عشر مخترقة شوارع العاصمة، وقبل أن ينتصف الليل دفع أحد أفراد القوة باب البيت بكتفه وانطلق نفر آخر يدق باب شقة الشاعر عبد الستار الصعيدي الاشتراكي الذي يؤمن بالشيوعية بمفهوم خاص لينتشر الجنود في الأرجاء وغرف النوم، وسيق الذين وجدوا على الفراش عراة بعد أن سمح لهم قائد القوة بستر عوراتهم، لم تكن القضية قضية آداب وإن أوحى وقعها بذلك، بحر من الحيرة وحالة من الدوار أصابت وليد وتساءل: ما العلاقة بين الشيوعية وقلب نظام الحكم والعراة من النسوة!

انطلقت السيارة بالمتهمين وعلي أعينهم ما يحجب الرؤية، لم يدر كل منهم ما قطعته من مسافة فقد أصيبوا بحالة من الدوار ليهبطوا بقوة الدفع والركل حتى ولجوا إلى ممر منحدر وفي حجرة صغيرة أمضوا ما بقي من الليل .

لم يكن عبد الستار وصديقه راجي الوحيدان اللذان تم اعتقالهما، عشرات المئات من خيرة رجال مصر ممن عارضوا النظام لقوا نفس المصير، التهم معدة سلفاً وعلى رجال أمن الدولة مواجهتهم بها، لتكشف التحقيقات حكاية كل واحد، نزح عبد الستار من قريته في صعيد مصر بعد حصوله علي دبلوم الزراعة ليعمل موظفاً في الجمعية الزراعية وتردد على مكتبة مجلس المدينة ينهل منها، يكتب الشعر بشكل عفوي، وقد أسرف على نفسه وأطاحت به أفكاره بعيداً وذاع صيته بعد أن بثت الإذاعة عدداً من أغانيه، رقيق المشاعر هاله ما يحدث من ظلم وتفاوت وفجوة كبيرة بين الأغنياء وبين الفقراء، لم ينس أنه واحد منهم، آمن بالاشتراكية كمذهب اقتصادي، لكنه لم يؤمن بها كتنظيم سياسي وحيداً منفرداً له قدرة على البطش والتعذيب وأعلن ذلك من خلال أشعاره غير مرة وشطح في أفكاره إيماناً منه باشتراكية أكثر يشارك فيها الشعب بكل طوائفه إلى أن تعرف على زوجته وعلى صديقه راجي، وهو مثله شاعر تزوج هو الآخر وانتقل الشاعران مع زوجتيهما ليعيشا في شقة مستأجرة، شارك كل زوج زوجة الآخر في حياتها، تيار جديد يساري اشتراكي علماني هذا الذي أتاح للرجل الاستمتاع بزوجة صديقه، فاليوم شفيقة مع عبد الستار وغداً فتحية مع راجي .

بات عبد الستار ليلته منفرداً والعصابة السوداء تحجب عنه الرؤية لكنها لم تمنع صوتاً يحمل أنيناً متقطعاً ترامى إلى سمعه، فتح عينيه المثقلتين بالهموم وبعض الأتربة، أُسقط في يده: الصوت يشبه صوت راجي! مازالت العصابة السوداء تحجب الرؤية ويداه مقيدتان إلى الخلف، فكر في مصير صديقه ومصير زوجته التي كان معها بالأمس، شعر بشيء يسري في جسده يشبه البطولة وكأنه يمارس الجنس لأول مرة .. كم كانت رائعة! اقترب وقع أقدام وهرج ومرج ليفيق من شروده على صوت الباب يرتج ويدان غليظتان تدفعانه للخارج بين ضربات ولكمات ليجد نفسه في حجرة وقد رفعوا عنه ما يحجب الرؤية وسط أضواء باهرة عصفت به فلم يعد يرى إلا من بصيص لمح من خلاله صديقه معلقاً، مواسير حديدية اصطفت حول الجدران تعلقت بها قيود المتهمين وسط صرخات وجلادين وسياط، حين يأتي الليل لا يُسمح لهم بالنوم، استسلم بعد أن فقد الوعي حتى صباح اليوم التالي، فكر فيما يمكن عمله، لقد عبر عن رأيه من خلال قصائده وأمسياته الشعرية وتساءل: هل بإمكانه بمفرده تغيير نظام الحكم؟ وهل تحققت أهداف الثورة التي نادى بها جمال عبد الناصر وحلم بها الشعب المصري، مات عبد الناصر وتولى من بعده من حارب وانتصر وانهزم بالسلام مع العدو ذاته ولما اعترضنا عاقبونا على ما نؤمن به من أفكار، تُرى: هل ينتهي العمر والحلم عند هذا الحد؟ لم يصدق أن أبناء وطنه هم جلاديه، يحاكمونه على موقفه وقناعاته! الاشتراكية يجب أن تطبق في كل المجالات على مستوي الدولة وعلى مستوى الفرد، لا فرق بين رجل وامرأة في العلاقات وفي العمل، وعبر قضبان النافذة المتقاطع انطلق يسأل حارسه عن أخبار من أُلقي

القبض عليهم من النسوة وتساءل الحارس: أي نسوة ! لا يوجد لدينا نسوان يا بن المرا ..الحكومة شريفة لا تعتقل النساء ..

وفي وقت مراوغ اقتاده الحارس ليمثل أمام الضابط :

- اسمك؟

- أظنك تعرفه ..

- انطق يا بن الكلب ..

- عبد الستار ..

- ماذا تريد من الدولة؟

قلب نظام الحكم! واهم ومغيب أيضاً ..معاهدة السلام مسألة حياة أو موت، أما كفانا حروباً مع إسرائيل!

- إسرائيل عدو لنا مهما وقعّنا معها من معاهدات، اسأل الشعب، إما أن يكون السلام نابعاً من القلب أو لا تصالح .

- هل فوضك الشعب!

- الشعب أنا نبضه وإحساسه والمعبر عن أحلامه، طموح الشعب هو السلام القائم على العدل، لقد تم تحييد مصر لتنفرد إسرائيل بباقي العرب ..

- الشعب الفلسطيني هو الوحيد القادر على تحرير أرضه، قدمت مصر الكثير .. دماء وشهداء ودعم سياسي في كل المحافل الدولية .. ماذا كانت النتيجة؟ احتفظ برأيك ولا تحرض الناس على الثورة ، من شركائك؟

- الشعب كله ..

- أريد إجابة محددة .

- وحدي لا شريك لي ..

- أظنك تكفر بالله ..

- هذا رأيك ..

- وماذا عن الاشتراكية والشيوعية وهذا الهراء؟

- ليس هراءً .

- التحريات أكدت توجهك المعوج، يساري وتدعي الإيمان! وماذا عن النسوة في بيتك وعلاقتك بزوجة راجي وعلاقة زوجتك بصديقك ..هل تغمض عينيك عن هذا الفجور!

- مسألة شخصية، لكني أسأل عن سبب احتجازي؟

- راجع نفسك والفرصة أمامك .

وكما انتهت التحقيقات مع عبد الستار بدأت مع صديقه علي مدار ساعتين بين سؤال وجواب وشد وجذب، عاد راجي إلى محبسه لكن الوضع لم يستمر طويلاً، البلاد تمر بحالة من الغليان وآلاف المثقفين ورجال الدين وكل صاحب فكر امتلأت بهم السجون ونشط التيار الإسلامي المتمثل في جماعة الإخوان المسلمين وكل التنظيمات التي خرجت من عباءتها وعلى رأسها تنظيم الجهاد الذي استطاع أن ينهي حقبة من تاريخ مصر ليتولي الحكم رئيساً جديداً أصدر قراراً بالعفو عن جميع المعتقلين السياسيين، عبد الستار الصعيدي منهم وصديقه

وقد استقر في قلبه كُرهاً عميقاً للسياسة والعاملين فيها وكل النظريات والمذاهب ليبدأ حياة جديدة مع الشعر والغناء والوسط الفني بعد أن ذاع صيته أكثر من ذي قبل لتمر الأيام مرور السحاب وينطلق عبد الستار نجماً محلقاً في سماء الأدب ومعه راجي الذي أدركه المرض ولم يصل بعد إلى مرحلة الكهولة لينتقل إلى الجانب المضيء من الكون الفسيح تاركاً زوجته في رعاية عبد الستار، ساوره قلق شديد وكفر بكل شيء إلا بقية من إيمان دفعته للخلاص من حياته المشوهة لينفصل عن زوجته، تغير موقفه من المرأة التي ما كانت إلا للمتعة الحسية في نظره سواء كانت زوجته أم زوجة صديقه أو أي امرأة تصادفه، تخلص من ماضيه ومن سجنه ومن قناعاته وأقبل على الشهرة والفن وكتابة الشعر، أما ضابط أمن الدولة وليد حسني فقد تدرج في وظيفته وتوحش المارد داخله وأيقن أنه فوق الناس جميعاً، في بيته والحي الذي يسكنه تراه يسير وكأنه طائر يتأمل وجوه المارة، الكل يعرفه ويهاب سطوته، لا يستمع لأحد وكلما ارتقى في منصبه هدأت نفسه حتى تولى منصب رئيس قطاع، يغض الطرف أحياناً عن صرخات المعذبين وفي المساء تعاوده نوبات الحنين إلى الكمان فيعزف أعذب الألحان بأنامل ساحرة فلا تكاد تعرفه، ومن خلال هواياته الموسيقية تعرف على كثيرين من الوسط الفني منهم الممثل الشهير حمدي صالح الذي وفد من الريف مع بداية ثورة يوليو وقام ببطولة العديد من الأفلام وأدوار مازالت محفورة في الذاكرة، كما التقى غير مرة بالنجم الكبير رفعت سليمان الذي تزوج عدة زيجات على فترات متقاربة، هو ذاته لا يعرف لماذا أسرف في الزواج والعلاقات النسائية ليستقر في شقة إيجار بعد أن

تعرض لازمات مالية عديدة، ذاع صيت وليد كعازف كمان رفيع المستوى وسعي رواد حفلاته للتقرب منه بعد أن عرفوا طبيعة عمله وهم في حال من العجب، كيف تستقيم حياته من الناحية النفسية على الأقل، بين عمله في الصباح وإشباع هوايته في المساء، لكنه تفوق في المجالين، استغرقته حفلات الوسط الفني بما لها وما عليها وتعّرف على كثير من الراقصات وعرف شرب الخمر والسهر وعلاقات الحب والهجر والوصل والجوى وكان من الطبيعي أن تغيب عنه فكرة الزواج، لماذا يتزوج والنساء تحت أقدامه يخطبن وده طمعاً في مال أو بحثاً عن حماية، كذلك حمدي صالح لم يتزوج، وإذا كان الشرع قد أباح له أربع فها هو بلا قيود أباح لنفسه عشرات النساء .

في مواجهة الطاولة جلسوا متقابلين وليد حسني وحمدي صالح ورفعت سليمان وبينهم الراقصة نسمة فؤاد وعبر حلقات الدخان الأزرق والأبيض تلاقت الأعين وتحاورت في صمت، شرب الجميع، اليوم رأس السنة، يوم من أيام العرب في العصر الحديث، حرص الناس على الخروج عن المألوف بتلاوة ما تيسر من كتب الشياطين، شرب رفعت وغاب في أحضان الراقصة برهة واعتراه حال من البكاء شديد وكذلك فعل حمدي ووليد وحضور كثير .

ليلة رأس السنة استدعاها الحضور من كتب ألف ليلة وليلة فناموا نهارها وأحيوا ليلها بالرقص والغناء ودموع حبيسة توارت خلف حس مرهف عبرت عن نفسها، وقبيل الفجر انتبهت نسمة فقد حان الآن تقديم هدية رأس السنة ليقترب مقدم الحفل من الميكروفون:

السيدات والسادة: موعدنا الليلة مع الطرب والرقص والإبداع .. مع نسمة فؤاد وأنامل وليد حسني الساحرة، تمايلت الأكف مع التصفيق وترنحت بين ضحكات كالبكاء وأصوات كالنحيب لتنطلق نسمة في وصلة رقص بملابس تشبه الملابس وانتهى الحفل ولم ينته ..

في مساء اليوم التالي التقى وليد وحمدي صالح في شقة رفعت سليمان، جمعتهم الحلوى وأكواب شاي متفرقة وحالة من الصمت: وحدووه ....

تواصل صمتهم إلا وليد راح يتمتم ..... أحياناً تحل عليه نوبة إيمانية عميقة وهو يدرك عبث الحياة التي نعيشها، كلما تقدم به العمر شعر أنه كان علي خطأ حين توهم أنه حامي النظام وعليه انتزاع اعترافات المتهمين بالقوة، أغلبها اعترافات كاذبة جاءت على غير الحقيقة نتيجة للقهر والتعذيب، لقد عاش حياته حائراً بين القسم الذي أقسمه وما وضعوه في رأسه، أنه حامي حمي الوطن وعليه أن يطهّره من الأعداء أمثال عبد الستار وغيره من المثقفين، حالة من الشرود استغرقته لينتبه على صوت:

- وليد .. أين ذهبت وفيم الشرود ..ماذا يؤرقك؟

- لا .. لا شيء ..الحقيقة .. لا توجد حقيقة، أشعر بتناقض غريب بين ما أنا فيه نهاراً وما أقوم به ليلاً من عزف نغمات حزينة تشبه حياتنا .

- لا تقل ذلك .. أنت من أكفأ الضباط ..

- لا يا رفعت .. لا ..هناك حلقة مفقودة في حياتي، هل نحن علي حق فيما نقوم به، هل نحمي النظام حقا؟

- طبعا على حق! هل تكفر بالدولة! الأعداء متربصون بنا من كل جانب وما صادفتهم من حالات ما هم إلا طابور خامس يستغله أعداء البلاد في تقويض دعائم الدولة، تُراك قد سمعت عن قضية التنظيم الشيوعي المتهم فيها الشاعر عبد الستار وصديقه، هؤلاء هم أعداء الوطن ..

واصل رفعت كلامه ولم يكن يعلم أن صديقه هو المناط به انتزاع الاعترافات من عبد الستار، حتى عبد الستار نفسه لم يكن يعلم ذلك رغم أنهم التقيا في مناسبات عديدة، لقد مر على هذا الحال سنوات تغير فيها عبد الستار كثيراً وأصبح من الشعراء المعروفين لكنه أبداً لم ينس ماضيه المؤرق .

- لدينا تقارير كثيرة .. أحوال البلاد لا تبشر بالخير .

- البلد تعيش فوق فوهة بركان .

- يا حمدي أنت فنان كبير وحساس ولك أعمال كثيرة ألقت الضوء على فقراء الوطن ومن يقتاتون من صناديق القمامة .

- الفن رسالة يا صديقي وعلي أن انقل الصورة واضعها أمام المسئولين .

- هذا صحيح، الفن والأدب وجهان لعملة واحدة يعكسان واقع المجتمع .

- بين الفن والأدب عشت حياتي طولاً وعرضاً وجنحت بي الأمواج والأهواء حتى كدت أغرق .

- ذكرتني بهذا البيت لشاعر عذب، ليس من جيلنا ولن يجود الشعر بمثله:

ملأت كأس التمني * صهباء من ألف دن .

حسبت دنياي روضاً * فكنت طيراً يغني .

والكون طولاً وعرضاً * ملكته أو كأني .

- الله ...الله عليك ..قل لي من قائل هذه الأبيات الرائعة .

- ليس الآن ... سأتركك حائراً لمناسبة أخرى، ألم تشبع بعد من النساء؟

- لم يعد لدي قدرة على العطاء إلا للفن أما عن المرأة فهي أخت وصديقة ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه، ولماذا لم تتزوج أنت؟

- أنا ....أنا احتقر المرأة ولا أثق في إحداهن أبداً، أشكالهن جميلة ولكن ما كنت أتصور أنها يمكن أن تقتل أو تخون، بحكم خبرتي وصداقاتي أيقنت أن كل من في السجن إنما سُجن بسبب امرأة أو مال والشريف من اعتُقل لأسباب سياسية ..

- أو بسبب الحب!

- قد تكون شدة الحب سبباً للقتل ونادراً ما يحدث .

- ألم تخض تجربة حب من قبل؟

- أنا ...وليد حسني! مستحيل، الحب ضعف وإن لم يمنعني ذلك من كتابة الكثير عن الحب وكأني عاشق .

- وما الحب يا سيد قيس؟

- الحب هزة في القلب جارحة وحياة في النفس غامرة وهيام تسبح فيه الروح حتى تعانق السماوات العلا، حالة يضعف فيها

الجهاز المناعي للمحب وللحبيب معاً فيلتقيان على إحساس أو وسواس يوسوس في صدور الناس، قبس من نور هو أم شمعة من رقة الإحساس، نذوب فيه ولا يذوب، خالد مخلد في القلوب، مهما حاولنا لا نعرف كنهه ولا نُثبر غوره ولا نعرف حتى الآن لماذا نحب فلاناً دون غيره وفي الوقت ذاته ندرك تماماً لماذا نكره فلاناً بالتحديد لأسباب كثيرة، في تلك الحالة تعددت الأسباب والموت واحد وفي الحالة الأولى لا سبب ولا منطق فحياتنا ممتدة ومن القلب للقلب رسول عشق ومهما بعدت المسافة الشوق يقطعها في ثانية .. رسول وليس نبي، صاحب رسالة من خالق الكون إلى الناس جميعاً وخاصة من لم يحب، والى كل عاشق أقول: لا تحاول يا صديقي إذا وصل العشق إلى الوريد وامض ما بقي لك من عمر أسير ..

هتف الحاضرون:

الله عليك يا شيخ ..آل أمن دولة آل!!! كلامك يمنح القلب أمان ودواء لكل حيران وكل من يعيش حالة من الاغتراب، كيف لا تكون شاعراً؟ بل عاشقاً! عاشق أنت عن جدارة وشاعر أيضاً، بل واحد من الشعراء العشاق .

من القلب أطلق وليد ضحكة لا يعرفها في الصباح، إحساس رائع أن يتصالح الإنسان مع نفسه لكنه معذب بين مهام وظيفته وما يعيشه بين أصدقائه مساءً وكما يقول عن نفسه : أنا بن الليل والشعر والموسيقي، يتمنى أن يخرج من دائرة السلطة بعد أن قدم استقالته غير مرة .. قوبلت بالرفض والتهديد أحياناً، لاحت في عينيه ومضة أخفت من ورائها غلالة رقيقة من الدموع واختلج صوته وهم بالانصراف فلديه مأمورية

عاجلة في الصباح، اقترب من الباب وما إن هم بفتحه حتى دق الجرس وانفتح الباب ليسفر عن قمر ..نسمة فؤاد لفحت بعطرها أنفاسه، تراجع مبهوراً لتنضم إلى الحضور ليعود إلى أصدقائه مرة أخرى مؤثراً البقاء، أمسك بيدها يقودها إلى الداخل بعد أن وضع في كفيها قُبلة، رائحة العطر دفعته للتخلي عما آمن به وراح يبحث عن دين جديد في حضرة نسمة، توالى توافد الأصدقاء من الوسط الفني بين راقصة ومطرب لتمتد السهرة حتى الصباح بين أحاديث وأمنيات ورغبة حقيقة في تقديم استقالته وجاءت نسمة تطرح سيناريو فيلمها الجديد وكلما تناول الحديث الحركة الأدبية كلما تجنب وليد ذكر الشاعر عبد الستار، شيء ما يؤرقه، ربما شعور بالذنب تجاه هذا الرجل .. مهما كان موقفه من السلطة أو حتى من نفسه أو فيما تراءى له من أفكار، قد كان علي يسار السلطة دائماً، بريئاً لم تثبت عليه تهمة، برأته المحكمة فيما بعد وقبل أن تبرئه أفرج عنه رئيس الدولة ومن امتلأت بهم السجون في اعتقالات سبتمبر الشهيرة لينمو التيار الإسلامي بشكل بات يهدد مستقبل الدولة وتوغلت أجهزة الأمن أكثر وضاقت السجون بمن فيها وزُج بأبرياء خلف القضبان وتتوالى الأحداث في مصر من سنة ١٩٨١ وحتى منتصف التسعينيات من القرن الماضي ومازالت الأحوال كما هي بل ازدادت سوءاً بشكل يفوق الطاقة ..

حوادث السيارات نافست حوادث القطارات، بيعت المصانع والشركات المنتجة لصالح فئة معينة من رجال المال والأعمال وصيغت القوانين التي تؤسس للفساد وامتلأت الشوارع بالقمامة، لم تكن مصر هكذا حتى في أحلك فترات تاريخها، قل الشعور بالانتماء إلا للمال وتخفف الناس من القيم، الكلمات

تخلت عن معانيها ورغم ذلك حافظت الطبقة المتوسطة على ثوابت الأمة، تلك الطبقة هي العمود الفقري لكل المجتمعات، حافظت على قيمه وعاداته وتقاليده ودينه وتوازنه، تتعرض الآن لضغوط كبيرة في لقمة العيش والصحة والتعليم، هؤلاء المهمشين على ضفاف الحياة يبيتون ليلهم مهمومين ويضحك لهم نور النهار، يتعرضون لهجمة شرسة وكأنهم يدفعوهم دفعاً للانتحار، أتاح الحاكم من الديمقراطية قدر، قل ما شئت والحكومة تفعل ما تراه، مازال الساسة لا يهتمون بمصالح الشعب، هكذا كان واقع مصر في تلك الفترة المريبة، لقد توحشت السلطة وعلى فقراء الوطن أن يضحوا بأنفسهم في الحرب وفي السلام فمصر تسكن فيهم وإذا فكروا أن يسكنوها، أحواش المقابر فيها متسع كمرحلة انتقالية، ضجوا ونظموا مئات الوقفات الاحتجاجية ضد رفع الأسعار وسياسة التوريث في الوظائف، كل شيء له ثمن حتى أعضاء الإنسان راجت تجارتها، كل شيء له قيمة إلا الفقراء، ملح الأرض وطينها، أصحاب الأرض الحقيقيين وما دونهم هراء أمثال وليد حسني وغيره من خدام أمن الدولة، جزءً من منظومة فساد كبيرة بدأت من أعلى وتغلغلت في كافة المستويات، استقر في وعي الناس ضرورة التغيير، لم يكن وليد الوحيد الجاني والمشارك فيما جرى من وقائع تعذيب لعبد الستار وصديقه وكثيرين غيره، منظومة الفساد واحدة، ربما كان وليد أكثرهم حساسية، كل القطاعات شاركت في الفساد وظهرت الأفلام التي تعبر عن تلك المرحلة، نقلت الواقع المؤلم من طرف واحد وزادت من معاناة الناس وهمومهم دون أن تقدم حلولاً، قدمت السينما العشوائيات بألفاظها الجارحة ووجوه مشوهة إلا في أعمال

بذاتها ظلت محفورة في ذاكرة السينما ساهم فيها حمدي صالح ورفعت سليمان الذي قدم أدواراً صور فيها حالات التعذيب التي تعرض لها المثقفون في تلك الفترة واستمر الفن كما هو لا يثور إلا كل حين، تقدم العمر بهؤلاء وانحسرت الشهرة عن رفعت وصديقه حمدي ولم يعد يظهر على الشاشة إلا كل بضع سنوات في مشهد أو دور ثانوي، تأثر كل منهما بعد أن كان ملء السمع والبصر، تزوج رفعت عدداً من الوسط الفني وغيره ومازال يعيش على ذكرى الماضي ، نار موقدة في الوجدان تُظهر صاحبها أمام نفسه على غير الحقيقة، إذا ضاجع امرأة تصور نفسه قادراً على إسعاد نساء الأرض وإذا مدحه أحد فمن المؤكد أنه جدير بالمديح وإذا عارضه فلابد أن يكون جاهلاً، هكذا استمرت حياته ولما ذاق الفشل في ممارسة الحب قرر الزواج من سعدية التي سبقته إلى العالم الآخر من سنوات قليلة ليبقى وحيداً في بيته وقد منحته النقابة معاشاً استثنائياً لا يغني ولا يسمن من جوع، يتواصل مع صديقه حمدي فتي الشاشة الأول في أزهى عصور السينما، امتد به العمر ليعيش في بيته وحيداً، لم يجد في نفسه رغبة للزواج من أي امرأة رغم شهرته ووسامته الملحوظة التي جلبت عليه من النسوة أشكالاً وألواناً، يا لها من أضواء ساحرة تلك التي تخلت عنه في الكبر، كم من الجوائز حصد والجمعيات الفنية التي انتمى إليها وحفلات تكريم لا تعد ولا تحصى وهو مثل صديقه انحصرت حياته في القيام بادوار ثانوية والتواصل مع أصدقائه رفعت ووليد حسني والشاعر عبد الستار، تجمعهم أمسيات أدبية في صالون الأديب يونس المصري الذي قدم أعمالاً للسينما كانت بمثابة تأريخ للواقع المصري، صالون السبت يقصده العشرات من محبي

الأدب والفن ومن أدعياء الأدب كذلك وعازفي الموسيقى وعدد من الشعراء والنقاد وطائفة من المثقفين الباحثين عن دور في الحياة، من بين المترددين علي الصالون مريض بالشهرة لا يدري شيئاً عمن أصيب بدائها، جاء من بلدته يسعي إلى قاهرة المعز قادماً من أفقر محافظة في صعيد مصر ليلحق بمن سبقوه في الهجرة للعمل في حراسة العقارات والسمسرة، نسي مسقط رأسه وتطلع إلي عالم جديد، كانت الصحافة هي الوسيلة الوحيدة للنفاذ إلى عالم الشهرة من خلال تجارب شعرية جمعها في ديوان أصدره قبل أن يلتحق محرراً تحت التمرين بجريدة قومية، دائم القلق بهاجس وسؤال: كيف يصبح معروفاً في تلك الفترة من عام ١٩٨٥ وقد تخرج في كلية الآداب، هكذا مضى الحال بفرحات فتحي، فكر في شكل يميزه، عصاً يتوكأ عليها أو شيء يضعه على رأسه كالعمامة مثلاً، لكنها تذكّره بأبناء عمومته، استبـــعد فكرة العصا لصغر سنه، مغرم هو بتوفيق الحكيم ولطفي السيد ويحي حقي وما ميزوا به أنفســـــهم عن جدارة، ميزهم ما قاموا به من أعمال، لم يكن الحكيم شاعراً وإنما كاتباً مسرحياً وروائياً تُرجمت أعماله إلى كثير من لغات العالم، اختار فرحات شكلاً جمع بين البساطة والتميز، نوع من غطاء الرأس راق للفلاحين من أهل القرى يشبه الطرطور ميزه عن غيره ليلتف حوله بعض المتنطعين الباحثين عن الشهرة وهم في بداية طريق راح يمهده بنشر بعض كتاباتهم المتواضعة على صفحته في الجريدة ليكتسب بمرور الوقت أتباعاً ومريدين، انقطعت صلته بقريته إلا من ابنة عمه تزوجها لضيق ذات اليد ولأنها تناسب طبيعة المرحلة آنذاك، صاحب طموح يفوق فقر أسرته، عاش حياته بين الشهرة والشهوة

والفضيحة .. فرحات فتحي وأمثاله لهم حكايات سيأتي ذكرها ...

العلاقة بين المثقف والسلطة كانت موضوع صالون السبت وقد حرص الحضور علي سماع رأي الأديب يونس المصري، حضر الصالون لفيف من رجال الأدب والفن والسياسة والصحافة كما حضر فرحات فتحي والفنانة زينب مكي وعازف الكمان وليد حسني، عزف ألحاناً شجية تثير في النفس عذوبة وفي الوجدان عذاب، كل المشروبات مباحة إلا ما اعتاد تعاطيه بعض الفنانين وما بين السلامات والسؤال عن الأحوال وبث الأشواق دارت أحاديث جانبية وهمس سرى بين اثنين أو أكثر حول علاقة الكومبارس موريس عوض بالفنانة زينب مكي التي قدمته وأغدقت عليه من مالها ليكون له شأن، يملك كل مقومات النجاح، ممثل موهوب إلا أن إدمانه المخدرات أطاح برأسه كما أطاحت وسامته برأسها وأمالت قلبها قبل أن تنفصل عن زوجها الأخير رغم حبه الشديد لها، حباً بلغ درجة العشق دفعه لتقديم تنازلات وتضحيات لا يقدمها إلا كل عاشق وتلك حكاية أخرى .. . ...

توالى توافد الضيوف، وتوالى إلقاء الكلمات، العلاقة بين المثقف والسلطة خلال الخمسين عاماً الأخيرة، ما هي طبيعة العلاقة؟ انطلق أحد المدعوين:

علاقة السلطة بالمثقفين وأزعم أنني واحد منهم، علاقة بلغت من السوء حداً لا يمكن السكوت عنه ...

التفت وليد يتأمل المتحدث وكان قد تقدم به العمر وغطي الشيب مرفقيه، واصل وليد تأمله وشريط ذكريات يمر أمامه وما جرى من تحقيقات وتعذيب لصاحب الصوت، لا يعرفه

بالتأكيد، لكن وليد يعرفه حق المعرفة، كيف ينساه وقد أشرف بنفسه على تعذيبه لانتزاع اعترافات لا قيمة لها، سنوات مرت وهو كما هو، معرفة من طرف واحد، معصوب العينين كان معلقاً من قدميه، سال الدم من جسده مرات وهو مصر على حقه في إبداء رأيه وأن يعتنق ما شاء من أفكار، واصل الشاعر كلامه ووليد ينصت باهتمام:

تراوحت العلاقة بين المثقف والسلطة بين شد وجذب واستقطاب في بعض الأحيان، نحت المثقف جانباً عبر سنوات وعقود طويلة، كل من تولى وزارة الثقافة كان تابعاً للسلطة وعين على المثقفين، ازدهرت الثقافة في فترة الستينيات من القرن الماضي بعد أن عينت حكومة الثورة من آمن بقيمة الثقافة كضرورة وأداة من أدوات تغيير المجتمع وقاطرة تقود الشعوب إلى الحضارة وأن الحضارة الإنسانية جميعها متشابكة مترابطة، الثقافة عنوان .. به تهتدي الشعوب وتُهدي حكامها، هذا هو المفروض يا سادة، لكن ليس كل مفروض واقع، لقد مات جمال عبد الناصر ومات معه الحلم الثوري والرغبة في التغيير ليأتي من بعده من أودع كل من عارضه السجن وما أدراك ما السجن، اسألوني أنا ..أعرفه أكثر من أي واحد منكم، اعتقلوني مع من اعتقل في اعتقالات سبتمبر، أين من اعتقلونا؟ ليس الأمس كاليوم، ها نحن نتحدث بهامش من الحرية ... نحن الذين دفعنا ضريبة الحق في التعبير.. حريتنا .. أعمارنا وحرماننا من بيوتنا، حاكمونا لأننا أصحاب رأي ثُرنا على المهانة والاستسلام، كل مستبد يتمني أن يكون الشعب من الجهّال فالجاهل لا يثور، لا يريد مثقفاً يسعى لتغيير طبيعة الشعب، هل تؤمن الدولة بضرورة التغيير وأنه حتمية تاريخية

للتقدم والرقي؟ لا تريد ذلك ولا تطيقه وتحارب كل من يسعى إليه، علاقة السلطة بالمثقف ظلت كما هي من مئات السنين، لم تتغير والنتيجة هي ما نراه الآن .. انظر إلي موقعنا بين الدول! تنقصنا ثقافة الاختلاف وثقافة السلطة أيضاً، أن تكون صاحب سلطة عليك أن تستعبد من هو دونك، صاحب السلطة في حقيقة الحال خادماً للشعب في البلاد المتحضرة ولا تنسوا أيها السادة أن كل صاحب سلطة يتمادى في استخدام سلطته حتى يأتي من يوقفه، تلك هي علاقة السلطة بالمثقف، سأزيدكم من الشعر بيتاً اختم به كلامي يتعلق بعازف الكمان وليد بك حسني، أرجو أن يحدثنا عن علاقة السلطة بالمثقف من واقع خبرته ..

انتقل طعم الكلمات المر إلى حلق وليد وأصابته الحيرة، ذلك الشاعر يعرف اسمه لكنه لا يدري أن عازف الكمان هو معذبه قبل خمسة عشر عاماً، لم ير الشاعر ملامحه ولا يتذكر صوته لكن وليد يعرفه جيداً ويعرف أيضاً أنه على حق وأن صاحب الفكر أقوى ألف مرة من صاحب السلطة، تلك كانت قناعاته ولازالت، في نفسه شيء يميل إلى الحق لكنهم في سنوات الدراسة ملأوا رأسه بأشياء وبأن الأمل معقود عليهم في محاربة أعداء الوطن ودعاة الكفر والإلحاد المبشرين بالشيوعية، اندفع هؤلاء وهو معهم يغتالون براءة شباب الوطن ممن كان لهم رأي وفكر، انتبه على صوت الشاعر: في انتظار سماع رأيك يا سيادة العقيد، أنت خير من يمثل السلطة وواحد من رموزها، هنا تدخل صاحب الصالون بعد أن سادت حالة من الهرج والمرج بين مؤيد ومعارض وبين متحفظ وأنه لا داعي لإحراج وليد فوجوده في الصالون مرحب به دائماً كعازف كمان لا كممثل للسلطة أردف البعض معقباً:

- من عصر بناة الأهرام لم يتول الحكم حاكماً مصرياً إلا جمال عبد الناصر .

- أنسيت محمد نجيب؟ هكذا مصر تأكل أولادها!

- لم أنس ..لكن عبد الناصر باني نهضة مصر الحديثة بعد محمد علي وباعث القومية العربية بعد موات، نجيب طيب القلب لا يصلح لقيادة ثورة بحجم ثورة يوليو .

- وماذا عن الحرية والسجون والمعتقلات؟

- دعوني أكمل فليس بيني وبين النظام الحالي عداء ولكن بيني وبين نفسي ميثاق شرف، أن أعمل لصالح الشعب فقط، لعبد الناصر أخطاء ومن جاء بعده له خطايا ولكن دعوني .... قبل أن تضيع الفكرة وبعدها اترك مكاني للتعقيب.. استمر المتحدث يعدد مناقب عبد الناصر وكيف أن الغرب حاربه ثم انتقل إلى عصر السادات الذي لم يؤمن يوماً بالديمقراطية إلا من حيث الإطار الخارجي والدليل على ذلك اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ .

هتف الشاعر:

- لقد اتفقنا يا سيدي .

دارى وليد ما قد يواجهه شخص آخر في موقفه وهو الرجل الأريب ربيب أمن الدولة، حاول أن يجيب بطريقته:

- في البداية أحيي الحضور خاصة شاعرنا الكبير عبد الستار الصعيدي، لسان حال الأمة والمعبر عنها، عن أحزانها وأفراحها وكل حالاتها، عرفته رمزاً وقيمة وقامة من قامات النضال السياسي، إننا اليوم في صالون للأدب ولا يجب أن نلون حديثنا

بصبغة سياسية فالسياسة لا تتفق مع العقل ولا المنطق في كثير من الأحيان، دعونا نسعد بوجوده وقصائده التي قادته إلى المعتقل، يا لها من صدفة تُذهب العقل! لتكن الليلة أمسية شعرية .....

التفت الشاعر عبد الستار صارخاً:

- لا.. لن تكون أمسية شعرية ..ستكون أمسية سوداء علينا جميعاً إذا لم أسمع رأيك في موقف السلطة من المثقفين، يسعدني سماع رأيك وإن كنت أعرفه مسبقاً .

- يا سيدي لا تحجر علي رأيي، سأسمعك مقطوعة موسيقية على الكمان من تأليفي .

نجح وليد بذكاء وحيلة أن يغير مجرى الحديث وأن يخفف حدة التوتر وأن ينتزع الآهات من قلوب الحضور وأولهم عبد الستار، دمع حائر ترقرق في عينيه دفعته نغمات الكمان الشجية فسال على استحياء وران على الجميع صمت وتطلع الوجدان بعين خجلي، ينصت بكل جوارحه إلى ذلك الساحر، خسارة كبيرة للفن وللوطن، في تلك النغمات الشجية يظهر أمن وسلام الدولة، الأمن ليس أمناً سياسياً فقط لكنه الأمن الذي يمس القلوب ويجرح الوجدان في همس بينه وبين العقل، يثير في القلب حياة وفي الحياة روح .

حالة من الصمت حلت وتلاشي صوت رشفات العصير وفرقعة زجاجات المياه الغازية وزينب مكي تنصت في خشوع، تشعر براحة كبيرة وقد وارت أصابع موريس بين راحتيها وهو يستمع في رهبة حتى انتهي وليد من عزفه وقبيل نهاية الصالون كان لابد من تعقيب:

- لستم ضيوفاً، نحن في الفكر أقارب وللأدب جيران والثقافة تجمعنا كما يجمعنا الود الذي لا تفسده أي قضية فما دار من حوار بين شاعرنا عبد الستار وساحر الكمان أثرى اللقاء فالشعر فيه من الموسيقى ولغة الموسيقى شاعرية أما العلاقة بين السلطة وبين المثقف فهى علاقة أزلية جدلية شابها كثير من اللغط على مدى سنوات ما قبل الثورة والحقبة التي جاءت بعدها وما تلاها حتى وقتنا الراهن، ظلت العلاقة متوترة على طول الخط بين أفكار حالمة تستشرف المستقبل، تنسج خيوط الأمل بين أحلام ورؤى، تنشد الكمال لمجتمع يسوده العدل والحق والمساواة حتى يتحقق الجمال، توترت العلاقة بين ما يريده الساسة وما يحلم به المثقفون، السياسي لا يريد أن يغادر موقعه والمثقف يؤمن بضرورة التغيير، في ظل هذه المعادلة تحدث كثيراً من الثورات لإزاحة الحاكم وإحداث تغيير في المجتمع، في بلادنا يختلف مفهوم السلطة عن مفهوم الغرب، الثورة ليست هوجة وإنما ثورة فكر, لها منظّروها والمبشرين بها والداعيين إليها، الشعب هو مصدر كل سلطة والدولة مجموعة من القوانين التي تحقق الحق والعدل والمساواة .

- وهل سنظل هكذا!

- لابد أن تتوافر الرغبة في التغيير لدى الحاكم وإلا فلن نتغير، إن علاقة السلطة بالمثقف في بلادنا ليست علاقة متوازنة .

- بالأمس كنا ضد سياسة التطبيع مع العدو الصهيوني واليوم أصبح التطبيع واقعاً .

- دعونا من أمور السياسة، الصالون صالون أدبي ..

- لكن الأدب لا ينفصل عن السياسة ولا عن هموم المجتمع، هموم المثقف هي هموم المجتمع .

- الحكومة تتبني سياسة قل ما تريد ونحن نفعل ما نريد .

- مازالت الحكومة تتبع سياسة القبض العشوائي لكل من يخرج معبراً عن رأيه .

- منظمات المجتمع المدني عليها القيام بدورها .

- وأين كانت تلك المنظمات أيام كنا رهن الاعتقال ..

عاد يونس المصري لاستكمال كلمته وفض الاشتباك الدائر موضحاً أن الشعب يعيش فترة عصيبة بعد أن زَج بالأبرياء في السجـــون وما نراه الآن من مظـــاهرات ووقفات احتجاجية ومطالب فئوية وبين حال الطلاب المنقسمين بين تيارات ليبرالية وأخرى إسلامية وحركات ثورية تنادي بالتغيير هو تعبير عن تلك الفترة التي نعيشها الآن:

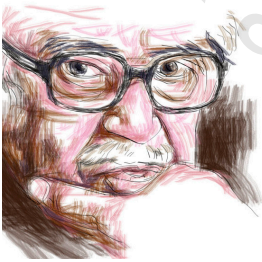

أصدقائي أدباء مصر وفنانيها، موضوع الصالون القادم عن الحراك السياسي الذي تشهده مصر وما يمكن أن يسفر عنه .

حرص الضيوف علي التقاط صور تذكارية تجمعهم ، تجنب وليد الظهور مع عبد الستار في كادر واحد إلا أن الصدفة كانت أقوى، نكأت في نفسه جرحاً من الماضي مازال يؤرقه وزاد

عليه أنه لم يُبد رأيه في مواجهة عبد الستار وباقي الحضور، وكما انصرف الضيوف غادر في ملابس عصرية لا تشي بعمره ولا رتبته أو طبيعة عمله .

في تلك الفترة والعالم يتأهب لاستقبال الألفية الثالثة اشتعلت المظاهرات وزادت الوقفات الاحتجاجية وتعرضت مصر لموجة كبيرة من الفساد شملت كل شيء فضلاً عن حوادث الطرق وكوارث وتفجيرات وأعمال يقال أنها أعمال إرهابية لا نعرف من نفذها، قطار الصعيد ومذبحة الأقصر والعّبارة، ضج المجتمع في ظل احتكار عدد قليل من رجال الأعمال للعمل السياسي، ملايين خرجت من بطون أمهاتهم يطالبون بالعيش والتعليم والصحة والعمل أيضاً، لم يطمحوا للحرية بعد ومازالت الجامعات تقذف بالآلاف كل عام في ظل سياسة البيع والخصخصة التي اتبعتها الحكومة مما زاد من حجم البطالة، كما أعلن الانحراف الأخلاقي عن نفسه بجرأة في مجتمع مأزوم مهزوم يبحث عن هدف، الشعب يبحث عن بطل فاليوم وغداً وكل يوم مظاهرات مختلفة ومطالب شتي، خرجت مظاهرات الطلاب تعلن عن رفضها لوجود الحرس الجامعي ومعهم أعضاء هيئات التدريس بالإضافة إلي مظاهرات التيارات الإسلامية، توالي سقوط الشهداء في الجامعات المختلفة وعاد الناس للانشغال بحياتهم الخاصة والمواسم والمناسبات، رمضان وشم النسيم وطوابير خبز لا تنقطع بين زفرات حارة ينبعث من قلوب أصحابها اليأس .. ويفكر الطلاب بصوت عال بعد أن تحول الهمس إلي صراخ يفكرون في حالة التيه التي تنتظرهم، خرج أحدهم من كلية الحقوق على رأس مظاهرة يواجه قائد قوات الأمن بعد أن حاصر الجامعة من كل الجهات وسط

سيل من طلقات الخرطوش والغاز، وقع مغشياً عليه ليلتقطه الجنود ويلقوا به في سيارة الترحيل إلي جهة غير معلومة ...

لم يكن أحمد سعيد الوحيد من بين الشباب المعتقل، تعددت الأسماء والموت واحد، في المعتقل وأماكن احتجاز عديدة بعضها لا يعرف عنها رجال النيابة شيء والأوضاع تسير من سيء إلى أسوأ، فئة قليلة غلبت فئة كثيرة لا مأوى لهم إلا أحواش المقابر، تلك الفئة التي حافظت على هويتها الإسلامية الوطنية المصرية الفرعونية من قبل الزمان بزمان، عادات وتقاليد توارثوها ارتبطت بالمواسم والأعياد والطقوس، خيط رفيع يصل بين السماء والأرض، بين الحياة والموت لم يرعه القائمون على حكم البلاد، كاد الحاكم أن يبيع رعيته بعد أن باع كل شيء، مصانع ومزارع وأراض، أصبح جمع المال وتقاضي العمولات هو الهدف وتحول رجال الحكم إلى سماسرة بدرجة وزراء وتفشت الأمراض وانتشرت وصدرت القوانين التي تؤسس للفساد واندلعت المظاهرات في كل مكان، في الجامعات وبين العمال والموظفين وزاد الانحلال الأخلاقي والدعارة الفكرية، لم يكن الفن بعيداً عن ذلك وإنما كان معبراً عنه ومشجعاً له في بعض الأفلام التي أظهرت المجتمع المصري في أسوأ صورة، اندلعت المظاهرات في كل المحافظات تندد بالأوضاع في الداخل والخارج فمازالت إسرائيل تعربد في غزة والهجرة لم تتوقف في الداخل والخارج فيما عُرف بالهجرة غير الشرعية إلى الدول الأوربية دفع فيها مئات المصريين حياتهم ثمناً للبحث عن لقمة عيش بكرامة .

لم يكن أحمد سعيد وحده ممثلاً أو قائداً للمظاهرات بل شملت عناصر من الطالبات ثائرة نافست الطلاب في حب الوطن، واجهن رجال الأمن وطلقات الخرطوش بصدورهن، لم تكن رحاب شاهين دميمة مثلاً أو عانس بل تسابق الرجال لخطبتها وهي بعد ما تزال طالبة، لم يخطف قلبها أحد، ما يحدث في غزة أدمى قلبها، الأطفال يموتون غدراً تحت القصف، كيف يصيبها الفرح والحزن خيم على الأجواء لكنها أبداً تأبى أن تسير في ركاب مجتمع دولي ظالم، لم تقل الممارسات الحكومية في بلادنا عنه ظلماً وهي تقمع المعارضة ضرباً وركلاً واحتجازاً سواء كانت معارضة حزبية أم مستقلة .

وفي الجامعة نظم التيار الإسلامي مظاهرة، لم يكن لرحاب أي انتماء سياسي أو حزبي أو ديني، ليبرالية - كل همها حرية الشعب وإطلاق سراح المعتقلين، أحمد سعيد واحد منهم، اسم طالما تردد بين أوساط الطلاب، لا يهم الاسم الأهم أن يطلقوا سراحه فوراً، سارت على رأس المظاهرة تهتف متوجهة إلى مكتب النائب العام ترفع وزميلاتها اللافتات التي تطالب بإقالة وزير الداخلية والإفراج عن زملائها وما إن اقترب المتظاهرون حتى انطلقت مدافع المياه وقنابل الغاز، سقطت مغشياً عليها وفي عمق سيارة الترحيل ألقوا بها وسط عشرات الجنود، أكثرهم تحرش بها لتنطلق السيارة إلى جهة غير معلومة بين أصوات انطلقت عبر أجهزة اللاسلكي:

- تمام يا فندم ..قبضنا على خمسين .

- بنات ...نعم بنات، يشبهن فتيات الليل .

- يا رجل .. قل كلام غير هذا .

- سترى بنفسك يا فندم .

- بعد ساعتين قدم لهم بعض الأطعمة وزجاجة مياه واحدة .

- زجاجة على خمسين فرد! كثير يا فندم!

- نفذ التعليمات .

مكان الاحتجاز عبارة عن غُرف متلاصقة وسلالم تؤدي إلى المجهول وأصوات صراخ من على البعد آتية .. لا أحد يرى الأخر بعد أن جردوهم من متعلقاتهم وأمتعتهم وأصبحوا رهائن أسلموا قيادهم لمن لا يعرفونه .

عند منتصف الليل رجع بكرسيه إلى الخلف وصوت عقارب الساعة ينتقل بين لحظة وأخرى، أخرج من درج مكتبه ملفاً كتب عليه اسم وفي أعلاه من جهة اليسار صورة راح يطالعها بينما طرقات على الباب تهمس والحارس يقف يحمل فنجان قهوة قدمه للسيد العقيد، راح يقلب الملف في تعجب ودهشة وتعاطف لكن مصلحة الدولة العليا هى الأهم، حار في أمر الفتاة - دون العشرين، ذات جمال لافت، من أسرة ثرية ترفض الخطاب دون سبب واضح، ماذا تريد من البلد؟ حوار دار بين وليد حسني وبين نفسه وسؤال:

هل يخلي سبيلها دون تحقيق؟ لا تمثل خطراً علي الأمن وإنما تصدّر صورة سيئة للخارج وأن الحكومة تضغط على الشعب وأن شعبية الرئيس في انهيار وهذا يمثل خطراً غير مباشر علي مصلحة البلد، لم يقتنع الضابط بإخلاء سبيلها ولم يتحمس لإحالتها للنيابة فعهد إلى أحد مرؤوسيه باستجوابها بشرط ألا يهينها ويحفظ كرامتها وأن يتلطف معها بقدر الإمكان

ليقدم صورة جديدة للشباب عن ضابط أمن الدولة، وقبيل الفجر فكوا قيدها لتمثل أمام الضابط معصوبة العينين جلست :

- رحاب شاهين ؟

- أنا .

- مقيمة بالعنوان ....

- هزت رأسها بالإيجاب .

- ماذا تريدين؟

- بل ماذا تريدون انتم؟

- كل خير ..أرجو ألا نكون سببنا لك بعض الضيق ..

- الاحتجاز وتقييد الحرية عذاب ما بعده عذاب .

- هل تعرّض لك أحد بسوء؟

- يكفي حرماني من النوم ..ماذا تريدون مني؟

- من شركائك؟

- الشعب كله ..

- وهل تعبرين عن الشعب؟

- طبعا بصفتي مواطنة مصرية ..قل لي يا أستاذ ...

كاد الضابط أن ينفعل:

- نعم ..نعم ..ماذا قلت ....أستاذ!

obeikandl.com

- وبماذا أناديك وأنا معصوبة العين لا أعرف مع من أتكلم ..هل يرضيك ما يحدث لإخوتك الطلاب؟ هل نمثل خطراً حقيقياً على أمن الدولة كما تزعمون؟ مجرد مظاهرة سلمية للمطالبة بالإفراج عن زملائنا المعتقلين .

- تعرفين منهم أحداً؟

-أسامةناصر..منذعامأويزيدانقطعتأخباره..أحمدسعيد،من حواليشهرانقطعتأخباره هو الآخر وآخرين لا أعرف أسمائهم..

- بالأمس خرجتم للتضامن مع الشعب الفلسطيني؟

- نعم ..

- تريدون الحرب مع إسرائيل؟ ومعاهدة السلام بيننا قبل أن تخرجي أنت للحياة ..أظنك مواليد ٧٩ .

- تمام ..تعرفون كل شيء عني!

-وجميلةأيضاً... لاشأنلكبالسياسة..تعلميوتزوجيليكون لكبيتوأطفال،إنحالالمجتمعاليوملايسمحبترفالمظاهرات، عليكأنتدركيذلكوتقنعيزملائكإذاكانتمصلحةالبلدتهمك .

- أطلقوا سراح زملائي أولاً ..

- هل لديك أقوال أخرى؟

وقّعت على أقوالها واقتادها الحارس إلى حيث كانت، تناهي إلى سمعها صرخات واستغاثة: أنا أحمد سعيد يا كفرة ..أحمد سعيد أنا ..ماذا تريدون مني؟ حرام عليكم ..لا شيء عندي غير ما قلت ..بكت رحاب بحرقة وطلبت من الحارس أن يعيدها

ثانية إلى الضابط فرفض وأبلغه برغبتها في مقابلته وقبل إخلاء سبيلها بساعة استدعاها الضابط :

- ماذا تريدين؟ ألم تُدل بأقوالك!

- لا شيء ..فقط ..فقط..

انساب الدمع من عينيها وهي تردد:

- أحمد .. أحمد سعيد إنسان مخلص يحب بلده، ماذا تريدون منه ، شباب الجامعة أطهر شباب الوطن، لو كان تاجراً للمخدرات لتركتموه وما عذبتموه هكذا ..

دق وليد حسني الجرس بعصبية وأمر بالإفراج فوراً عن الطلاب المحتجزين تباعاً بمن فيهم أحمد سعيد وأسامة ناصر: يخلي سبيلهم فوراً وبدون فاصل زمني .

معصوبي العين كما جاءوا نقلتهم السيارة مرة أخرى وسط عالم مغلق عاش فيه هؤلاء لا يدركون الوقت نهاراً كان أم ليلاً والسيارة تجتاز المطبات في غباء، لا يشعر أحدهم بالآخر إلا وقد ارتطم به أو اصطدمت رأسه بسقف السيارة، في ركن منزو من العربة جلس في صمت، دارت السيارة دورة أو اثنتين وكأنهم سائرون نياماً حتى توقفت فجأة في مكان موحش لكنه قريب من الطريق الرئيسي، وعلى جانبي الطريق مضت السيارة تبطئ من سيرها وتلقي بالواحد تلو الآخر بعد أن فكوا عنهم قيودهم وسط حيرة بالغة وقبل أن ينزع أحدهم العصابة من على عينيه انطلقت السيارة بسرعة رهيبة، خلعت رحاب ما غطى عينيها لتقع في عين واحد من الشباب بدا عليه التأثر، كثيف الشعر عيناه واسعتان اتشحت بالسواد، بحر من الحزن

ملأ عينيه لم تستوعبه وتشاركت الأعين في دمع غزير، ارتجف قلبها واختلج صوتها وهي تهمس :

- أنت أحمد سعيد؟

- أومأ برأسه .

خيط من المشاعر تردد بينها وبينه ولأول مرة تشعر بهزة القلب، شيء ما جرح قلبها حتى لم تعد تشعر بنفسها ويدها تمتد تمسح دموع القهر، دموع الحالمين بالحرية، تحولت الجامعة إلى سجن كبير ومصر تحولت إلى سجن أكبر فلا مجال للتعيير وقمع المظاهرات مستمر ورحاب تساعده على السير وتستحثه على إكمال المسيرة، سارا معاً، عن عنوانها سأل وبادلته السؤال: عنواني في عينيك وفي ضميرك:

- خسارة ... لم نلتق إلا منذ فترة قصيرة ..

- مازال العمر أمامنا .

استمرت العلاقة، في المظاهرات التقيا وعن المستقبل تحدثا .. عن حلمه في غد أفضل ومع مرور الوقت تحول إلى شخص آخر، لا يثور إلا من أجلها ولا يدور إلا في فلكها، حبيبته ومعشوقته وأرضه ووطنه، ما أجمل الحلم حين يتحول إلى حقيقة، ترى حبيبك في المنام طيفاً ثم تنسي ملامحه وتنسي الحلم ذاته وعلى حين غرة يستقر في عينيك ماثلاً أمامك يستثير فيك الحلم القديم، فارس من أعماق التاريخ جاء، ومن وراء الغيب ارتحل واكتحل به الرمش ونور من الهمس، يملأ المكان، يأخذك من نفسك إلى نفسك إلى عالم البراءة، بأيدينا يمكن أن نخلق عالماً جديداً مغايراً، بأيدينا لو أردنا أن نصنع حاضرنا

ونصوغ مستقبلنا، بأيدينا ننزع الحلم من الطين وروداً ورياحين لتستمر العلاقة ويستمر التظاهر مرتبطاً بالأحداث السياسية، لقد غابت رؤية الدولة تجاه الشباب فلا خطة ولا رؤية منهجية تؤسس لمصر بعد خمسين عام مثلاً، وعلى هذا الحال مرت حقبة التسعينيات والسنوات الأولى من الألفية الثالثة، خرج الملايين إلى الحياة من عام ٨١ وحتى الآن وواقع الحال ينذر بالخطر واستمرت الحكومة في بيع الشركات وأصول الدولة أما عن أهدار المال العام فحدّث ولا حرج ... أحمد سعيد وأبوه ضحايا تلك المرحلة المضطربة، أبوه أحيل للتقاعد مرغماً وبيعت الشركة التي كان يعمل بها ليزيد عدد العاطلين واحد، تخرج أحمد في الجامعة والتحق بالجيش وفقد التواصل مع رحاب شاهين ..

بعادها يؤرقه وقد مر من الوقت سنوات عمل خلالها في مصنع من مصانع الإنتاج الحربي، يساهم بجزء من راتبه لتربية إخوته، مازالوا صغاراً والطريق طويل والشوق إلى رحاب يزيد، مازال ملء العين والقلب رغم مرور الوقت وتقدم الكثيرين لخطبتها والحاح وضغط من الأم، حاولت الهروب بالعمل في مكتب استيراد وتصدير خاص برجل الأعمال طلعت صبح، أدارت له أمواله وأعماله وتعلمت منه الكثير وتوارى أحمد قليلاً بعد أن ولجت أقدامها عالم المال والأعمال وبتشجيع من الأم ألقت شباكها على طلعت ليقع بأقل مجهود، رحاب رائعة الحسن وطلعت غليظ الأنف والأذن والحنجرة، في صوته بحة تشبه فحيح الأفعى، تدور النساء من حوله ككؤوس خمر نافست رحاب في إدارة رأسه ، تعددت الأسماء والكأس واحد، أما الحب فمازال بعض من بقاياه يداعب قلبها كلما راودها الحنين لسنوات مضت وأيام خلت، تتعاطى الواقع

بعيداً عن السياسة والرومانسية، من مالهـــا الخـــاص أسست شـــركة لتجارة الأراضـي والعقارات، حال البلد والمسئولين، السمسرة هـــي الحل وفـــريق آخر رأى أن الإسلام هو الحل، كل شيء يباع ويشترى، الأرض والعرض! لم تكن الأم بعيدة عن ابنتها حتى في العمل فكان لها شركة خاصة تديرها تمارس النشاط ذاته، عالم غريب بحق ما إن تدخله حتى تشعر بغربة، تتمنى أن تغوص فيه أو ترحل عنه بعيداً .

شركة ساسّسو للعقارات ..لافتة كبيرة علت واجهة الطـــابق الثاني من بناية ضخمة بمدينة نصر يؤمها صباح مساء عدد من النسوة يتاجرن في كل شيء، أما شاهبندر التجار ذات الاسم الحركـــي - ساسّسو- فقد توفي زوجها من سنوات بعيدة وترك لها بعض المال استثمرته إلا أنه لم يكن كافياً لتحقيق تلك الثروة لتصبح واحدة من سيدات الأعمال، جمالها يسابق أعمالها، بينها وبين الستين ست، ذات شباب لا يغيب، يلحظه كل صاحب حاجة ومن في قلبه مرض والبريء وكل من يتعامل معها، فيه من الأسرار سر، يفك المربوط ويوشوش الذكر، ما بين النوم واليقظة وعند اقتراب حالة اللاوعي لا تترك نفسها في مهب الريح فهي امرأة ككل النساء تهفو نفسها لممارسة الحياة الطبيعية في الحلال أو الحرام، لا تتوقف عند هذا الآمر كثيراً فالله يعلم ضعفنا

وقلة حيلتنا، تتجنب الزواج خوفاً من طمع لمحته في عيون الرجال، ترثى لجسدها الرائع وتشفق على نفسها من الحرمان، لم يعد المال مصدر متعة، جسدها فقط مصدر المتعة والعذاب، انتقلت عدوى حب المال من ساسّسو إلى رحاب وفي حبها توغلت ولم تتوقف عند حد ، طلعت صبح زوجها لا تراه إلا في المناسبات، لا يغار عليها كما كانت تتمنى حتى لو وضع أحدهم راحته على ظهرها العاري خلف فستان السهرة، تمنت أن ينظر إليه في حنق وثورة أو حتى يضربها، لم تشعر معه إلا بكل ضآلة ليعاودها الحنين إلي أيام الجامعة إلى ذلك العاشق الثائر، لقد تغير كثيراً هو الآخر بعد أن تزوج وعاش في شقة متواضعة في بيت والده علي أطراف القاهرة، يصحو مبكراً علي صوت خوار، أما الذباب المتراكم فوق روث البهائم فشيء يفوق الاحتمال، أين هو من مدينة الرحاب، رحاب مدينة الحب الأول والأخير، على صوت العصافير تصحو وحفيف أوراق الشجر والناس شهود، فارق كبير بين الحياة والموت وكلما داعبه الحنين راح يعبث بأوراقه ربما عثر على رقم تليفون لها، مازالت تعيش بين القلب والوريد وعليه أن يمضي ما بقي له من عمر أسير, أخيراً اهتدي لتليفون صديقة لها من أيام النضال:

- هاي ..حضرتك من؟

- أحمد سعيد ..أنا ..أحمد .

- سوري ..النمرة غلط .

أعاد طلب الرقم ليرد عليه صوت أجش:

- أنا أسف يا فندم ..اكلم الأستاذة منى زميلة رحاب شاهين

- رحاب صديقتي من أيام الجامعة ..أنا منى يا أحمد ..

- ممكن رقم رحاب؟

- اوكي ..إلى اللقاء .

تواصل أحمد مع تليفون ساسّسو واُسقط في يده حين أخبرته بزواج ابنتها وكأن الأمر غريباً، حلت عليه حالة من الصمت غير مصدق .....ولم لا؟ ولماذا تزوج هو! وبين تليفون وآخر تصاعد الشوق وتعالت ألسنة اللهب عند محطة مترو الأنفاق، وقف ينتظر في لهفة، يتلفت في كل الاتجاهات، ثبت عينيه على مدخل المحطة، السذاجة تلبسته فتفوق على نفسه حتى أفاق على صوت سارينة سيارة دفع رباعي توقفت بجواره، أطل بعينيه وكل جسده :

- اركب .. بسرعة الوقت ضيق .

- أنا ؟ اركب!

جذب مقبض الباب حتى كاد أن يخلعه، انتحت بالسيارة جانباً وتركت عجلة القيادة وألقت برأسها فوق صدره تمطره بقبلات عطشى، تطوف برأسه ويده، تستنشق رائحة الماضي، مازالت تذكر الدماء وقد غطت وجهه يوم إطلاق سراحه لتبدأ مرحلة جديدة بينهما وتلك حكاية أخرى. .....

علي مقعده جلس، يتأمل ما آل إليه حال البلاد فالأحوال مازالت مضطربة، ارتباك تشهده مرافق الدولة، في السكة الحديد وعلي الطرقات نزيف أسفلت لا يتوقف ومستقبل أمام الأجيال القادمة لا تبدو له ملامح، وحاضر امتلأ بالفساد حتى فاحت رائحته، الإهمال قاسم مشترك، من المحليات إلى الصحة وصولاً إلى التعليم وفي الإعلام شيوخ الفضائيات تحلل الحرام وتحرم الحلال ونسبة بطالة عالية تقابلها نسبة عنوسة مرتفعة، باتت ظاهرة الزواج العرفي واضحة وضوح الشمس وانتشر الحجاب كزي شعبي يميز نساء مصر، تابع الأبخرة المتصاعدة من فنجان القهوة متأملاً ومحاولاً استشراف المستقبل، لا يضرب الودع ولا يقرأ الكف، فقط يتأمل المشاهد التي تترى أمامه ويتناولها بالتحليل، مازالت الأوضاع تنذر بالخطر، اقترح الأديب يونس المصري أن يكون الزواج العرفي موضوعاً للمناقشة في صالون السبت، وليد حسني أول الحضور، يتمتع بانضباط فلكي في المواعيد، في السابعة مساءً يقابلك بابتسامة وبمثلها يودعك، بين باقات الزهور ترجل وقد اعتاد الجلوس في الصفوف الأولى وتوالى توافد المدعوين، كانوا على موعد أما الصدفة فقد جمعت بين المحبين على غير ميعاد، الشاعر عبد الستار حضر برفقة جميلة السينما المصرية الفنانة زينب مكي كما حضر الناقد السينمائي المعروف ناجي نجيب والفنانة الاستعراضية نسمة فؤاد والصحفي فرحات فتحي وكذلك حضر متأخراً الفنان رفعت سليمان وصديقه حمدي صالح وقد وشت شعيرات بيضاء غير مسئولة بتقدم العمر .

ترقى وليد حسني إلى رتبة العقيد أما رفعت سليمان فكان أكبرهم سناً، رسم الزمان على جبينه خطوطاً أضافت إليه عمراً فوق عمر، زينب مكي في العقد الخامس، تبدو أقل من عمرها بعشرين عاماً...هكذا يقولون، صارخة القوام والجمال، من أراد أن تسكر عيناه وتثور جوارحه نظر إليها، كل ما يظهر منها نور ونار، وتوالي ظهور بعض الوجوه الشابة التي تعمل في مجال الأدب والصحافة، واقتربت عقارب الساعة من الثامنة وكان على الأديب أن يبدأ:

موضوع الصالون الليلة يهم المجتمع بأسره ويمثل ظاهرة مؤرقة، الزواج العرفي - أسبابه ودوافعه وهل هو الحل المناسب اجتماعياً في المرحلة الحالية؟ يسعدني أن أستمع لرأيكم وفي النهاية يعقب كل منكم كيف شاء ثم نختتم بفقرة فنية، عزف علي الكمان من الساحر الفنان وليد حسني ..

بدأعبد الستار حديثه موضحاً أن الزواج العرفي أصبح مشكلة كبيرة يعاني منها المجتمع وعلينا أن نحللها ونحدد أسبابها، اعتقد أن الدولة ساهمت بجزء كبير في ظهورها وتفاقمها، فقد شاعت تلك الظاهرة وانتشرت بعد عام ٨١، لقد حلم المجتمع المصري برخاء لا وجود له وتخّرج من الجامعة مئات الآلاف بالإضافة إلى ما تُلقي به المدارس المتوسطة كل عام، واكب ذلك بيع أغلب المصانع والشركات وكأنها كانت عبأ على الدولة تسعى للخلاص منه في ظل حالة من البطالة و حرمان عاطفي طاغ بين الشباب في أوساط الجامعة نتيجة للاختلاط المتاح والمباح مما دفع البعض كحل أخير أن يُشبع رغباته في إطار من الشرعية وهمي، عقد من ورقتين لا لزوم

لهما يسهل التخلص منه عند أول منعطف، الأخطر من ذلك تهّرب الشاب في حالة حدوث حمل، من هنا تبدأ المشكلة لتدخل الفتاة في مرحلة قد تغير من رؤيتها للمجتمع والحياة بأسرها، الزواج العرفي حل مؤقت لكنه ليس الحل المنشود وعلى الدولة إن أرادت أن تقدم للشباب حلولاً أن تكف عن بيع أدوات الإنتاج والشركات وتتوسع في إنشاء المصانع والمزارع مما يخلق فرص عمل تقلل نسبة البطالة وتدفع الشباب لإقامة حياة طبيعية من خلال الزواج المتعارف عليه، وعلى رجال الدين والصحافة والإعلام والأدب توعية الشباب بمخاطر هذا النوع من الزواج .

من بين الضيوف من قاطع عبد الستار بسؤال:

ألا ترى يا سيدي أن نسبة العنوسة وما آل إليه حال الفتيات في مصر ... أكثر من تسعة ملايين عانس غير الأرامل والمطلقات .....ألا ترى أن هذه النسبة وما تشي به من مخاطر يمكن أن تكون دافعاً للشباب للتواصل عبر هذا النوع من الزواج؟ انتقل الحديث من فم إلي فم إلى تعليق إلى مداخلة حتى جاء دور فرحات وقد حرص على تقديم نفسه بالطرطور الذي اشتهر به:

الثابت والصحيح أن الزواج الموثق أدعى للثقة واحترام قيم وثقافة المجتمع، أنا ضد الزواج العرفي، هو كلمة حق يراد بها باطل، مع أن أجدادنا لم يعرفوا التوثيق إلا في العصور التالية ..وهنا قاطعه عبد الستار:

لم يعرف أجدادك التوثيق، لكن العرف له قوة القانون، وقد عُرف عن العرب الشهامة والرجولة غير ما نراه الآن، وماذا بعد؟ أنا لا اقر الزواج العرفي أبداً ولا أقبل به علي الإطلاق فالزواج مشروع لبناء أسرة لا للتسلية وإزجاء الوقت .

اشكر الأستاذ فرحات والأستاذ عبد الستار الصعيدي وننتقل الآن لسماع رأي آخر سيثري اللقاء، رأي الفنان رفعت سليمان:

الزواج حكاية طويلة وعمر أطول من الأيام وحياة مشتركة، تجاربي في الزواج لم تكن ناجحة، وإنما كانت لضرورة ولكل مرحلة متطلباتها، تعددت الأسباب والموت واحد والحب واحد، الإنسان مخلوق للحب، اعترف أمامكم وأمام جمهوري إنني تزوجت زواجاً عرفياً عدة مرات لكنه زواج مؤقت كحياتنا تماماً، حتى الزواج الموثق مؤقت أيضاً، خرجت من زيجاتي المتعددة خالي الوفاض، زوجتي الراحلة سعدية، تزوجتها كمداً بعد أن مللت كل النساء، الحمد لله مازلت أتمتع بصحة هائلة لا تؤهلني للزواج أبداً، تلك كانت تجربتي ولو عاد الزمن إلى الوراء لتزوجت امرأة واحدة .

تواصل النقاش حتى انتقل إلى الفنانة الاستعراضية نسمة فؤاد التي رأت أن الزواج سوار من ذهب مهما كان جميلاً رائعاً فإنه يمثل قيداً على حرية الإنسان، إن الزواج العرفي أسهل وأيسر وأكثر حرية للرجل والمرأة على السواء، فيه حلول لكثير من المشاكل، وهو أخف وطأة من الحرام وعلى رأي المثل: الحرام بيّن والحلال بيّن ..

انطلق صوت يونس المصري صارخاً ومقاطعاً :

- الحلال بيّن والحرام بيّن ليس مثلاً شعبياً يا نسمة هانم، حديث شريف يا أستاذة!

ابتسمت نسمة تداري خجلها:

- على رأيك يا استأذنا ..

- هذا ليس رأي وإنما تقرير واقع لا تعرفينه، على أي حال .. رأيك يحًترم في الزواج سواء كان موثقاً أو غير موثق .

كان من الضروري أن يستمع الحضور لتجربة أخرى ثرية للفنانة زينب مكي لكن الأديب نظراً لضيق الوقت أرجأها لصالون لاحق لم يتحدد موعده بعد .

تحول النقاش إلى نقاش جماعي كل يُدلي برأيه، مازال فرحات فتحي ينكر بشدة الزواج العرفي مؤيداً الزواج الموثق، كذلك فعل مع ابنة عمه فوقية التي تزوجها لا عن حب ولا عن كراهية وإنما عن قناعة وضرورة حتمية في تلك المرحلة التي مر بها، لم يكن له أصدقاء أو علاقات أثناء دراسته، لكنه تطلع بعينه خارج أسوار الجامعة متجاوزاً كليته إلى كليات جامعة القاهرة وعين شمس، بنات يُذهبن العقل، وقد أمضي فترة دراسته لا يدرك ما يدور حوله حتى التحق بجريدة شمس النهار حيث عمل بالصفحة الأدبية وتردد على دار الأدباء، يحضر الأمسيات ويشارك في مناقشة الأعمال الأدبية .

انتهي صالون الليلة بمقطوعة موسيقية وتعانقت الأيدي على وعد بلقاء لم يتحدد بين نسمة ووليد ..

مازالت الأحوال تسير في رتابة، شيء ما يلوح في الأفق أن لابد من التغير، الاضطرابات تعم مناحي الدولة ومظاهرات في عموم المحافظات وتوحش من رجال الأمن في مواجهة المتظاهرين، إلى أن طالعتنا الأخبار بإقالة وزير الداخلية بعد مذبحة الأقصر التي أُلصقت بالإرهاب ولم يتم القبض على الجناة حتى الآن، أحداث كثيرة والفاعل مجهول ، تُرى من صاحب المصلحة في بث حالة من الرعب في أرجاء المجتمع؟

ليتولي وزير داخلية جديد من أمن الدولة ، وليد حسني يعرفه حق المعرفة، أطاحت وزارة الداخلية بعدد من القيادات وهنا يثور سؤال: هل تحقق الأمن على يد القادم الجديد؟ لقد زادت جرائم العنف والقتل والتعذيب لشباب أبرياء لا انتماء لهم إلا للقمة العيش وتعددت حوادث لا مبرر لها، غير مقنعة على الإطلاق، انتحار متهم ألقى بنفسه من الطابق الرابع بمبنى محكمة الجيزة .. مصرع سائق سيارة على يد أمين شرطة بالإضافة إلى إلقاء بعض المحتجزين ممن لقوا حتفهم على أبواب أقسام الشرطة، فضلاً عن المشاحنات بين أعضاء الهيئات القضائية وضباط الشرطة ومعاونيهم، أحداث متفرقة أوجدت حالة من الكراهية بين الشعب وبين وزارة الداخلية وانقسم الناس فريقين، أحدهما يملك كل شيء وآخر لا يملك شيء، أصدر مفتي الجمهورية فتوى بأحقية موظفي الدولة في الزكاة وانتشرت العشوائيات في كل مكان وسائر الموبقات من مخدرات ودعارة وأطفال شوارع بلغ عددهم مليونان، نتج عن ذلك آلاف من أطفال السفاح وأصبح المجتمع يعيش على فوهة بركان، أما عن الحالة السياسية فقد ران عليها الركود فأعضاء المجلسين جاءوا بالتزوير منذ أكثر من عقدين وقد توحش أحدهم في قيادة الحزب الحاكم ومن جاء بعده سار على نهجه، احتكر كل شيء وحيكت القوانين التي تيسر مصالحه بمساعدة الحكومة وعلم رئيس الدولة، وقد عبرت الأفلام السينمائية عن تلك المرحلة، بل استشرفت المستقبل وحلمت بتغيير الواقع لتحقيق قيم العدل والإخاء والمساواة، وتنبأت بثورة جديدة، مازال المجتمع يعيش في حال من الغليان، الحكومة في واد والشعب في واد آخر والتواصل المفترض

وجوده بين الثقافة والأدب وبين القائمين علي السلطة مفقود .

تاجرت الدولة في كل شيء ووزعت الأراضي على من بالسلطة وأقاربهم وجيرانهم ومعارفهم بأرخص الأسعار أما رؤساء الأحزاب فجميعهم رجال أعمال ممولون من جهات ومنظمات دولية تسعى إلى نشر الديمقراطية بطريقتها، لم يكن للأحزاب دوراً حقيقياً في الشارع المصري، وفي الصحافة لم نكد نسمع صوتاً شريفاً معارضاً حقيقياً إلا صوت واحد أو اثنين على الأكثر بشّر بالثورة، لم يكن فرحات فتحي بمعزل عن هؤلاء لكنه كدأبه حرص على مداهنة السلطة في غير موضع وكأنه يمهد الطريق لنفسه، تواق للثقافة منذ جاء من الجنوب وقد اختمرت في رأسه فكرة أن يكون العقاد أو لطفي السيد أو قريب من طه حسين وإن اختلفت الوسيلة، دأب على دعم السلطة وإظهار نفسه بصورة المعارض من خلال مهاجمة وزراء الثقافة المتعاقبين بصفته أديباً وصحفياً لكن ذلك لم يغيّر من قناعة زملائه ورأيهم فيه، فهو الريفي الساعي إلى الشهرة مهما كلفه الأمر، من أول غطاء الرأس إلى عقد الندوات في دار الأدباء، ينفق كل ما يرسله أبوه على سهراته وعلى النساء المتطلعات إلى عالم الشهرة حتى ذاع صيته رغم ندرة إنتاجه الشعري، نسي الناس أنه شاعر، مل ابنة عمه متطلعاً للتغيير متفقاً مع الإرادة الشعبية ليواصل مشواره الأدبي متنقلاً بين المقاهي والصالونات ونوادي الأدب وقصور الثقافة، وقد فاز مؤخراً بعضوية مجلس إدارة دار الأدباء متطلعاً إلى اليوم الذي يصبح فيه نقيباً لهم، راودته الأحلام أن يؤسس حزباً جديداً ومازالت أحوال البلاد كما هي، بطالة مستفزة تبدو في المقاهي وعلى الطرقات، البنات ينافسن الشباب في شرب الشيشة على

مقهى صالح بوسط القاهرة وفي الجيريون وكل التجمعات الشبابية ومقهى التكعيبة، من بين رواد المقهى اندس عدد من رجال أمن الدولة ليتعرفوا على ما يدور في عقول الشباب، بين أحجار الشيشة تنقل فرحات كواحد من رجال الفكر رغم أن الشهرة لم تصبه بالقدر الكافي فكان معروفاً في الأوساط الأدبية فقط أما على المستوي الشعبي فلم يكن لاسمه ذكر .

أطلق الشباب شعورهم بحثاً عن التغيير وارتدت الفتيات ملابس غريبة جسدت تفاصيل أجسادهن وقد حرصن على تغطية رؤوسهن، وتساءل البعض عن سر العلاقة بين تغطية الشعر وإبراز مفاتن الجسد وعن العلاقة بين الشرف وغطاء الرأس، بين التقوى وإطلاق اللحى! وتنقل الشباب من مفهوم إلى آخر ومن مجلس إلى مقهى كلما استبد بهم الملل، مقهى التكعيبة بوسط القاهرة أكثرهم شهرة، يؤمه الكثير من الكتاب والشعراء والممثلين والكومبارس والمثليين كذلك وكل باحث عن الشهرة عن حق وبدون حق، مؤمنون وملحدون ومن كل حدب وصوب واتجاه فكري مغاير، وعلى شكل دائرة التف رواد المقهى حول الناقد السينمائي المعروف ناجي نجيب وصديقه موريس عوض الطامح إلى الشهرة لكنه يمر بمحنة كبيرة، كومبارس له أدوار متعددة لا تُنسى مع زينب مكي، التفت إلى موريس:

- ماذا بك؟ أراك اليوم حائراً!

- قلق عليك .. أنت صديقي الوحيد الذي آنس إليه وأفضي بكل همومي رغم اختلافي معك في الرأي، أنت حر فيما ذهبت إليه، لكن على المستوي الشخصي أكن لك حباً واحتراماً رغم الخطوة الصادمة التي أقدمت عليها، ماذا كنت تقصد من ورائها؟

- بحثت كثيراً ولم يرغمني أحد .. تلك قناعتي، أردت أن أعيش في ظلالها وأن أكون كما أريد، لا كما أراد لي آبائي وأجدادي ..

- لكنها خطوة صادمة، طبيعي أن تلقى معارضة من الأهل وتشجيعاً من الطرف الآخر ..

- لا يا موريس .. نحن أصدقاء قبل كل شيء ، الاختلاف الفكري والعقائدي يجب ألا يدعونا إلى التنافر، نحن جميعاً من أصل واحد، تعددت الأسماء والرب واحد والحب واحد والقلوب واحدة، ماذا يضيرك لو غيرت اتجاهك الفكري، الناس عبيد أفكارهم، الدين والعبادات والطقوس ما هي إلا وسيلة لإرضاء الرب والتقرب منه والتواصل الإنساني أيضاً ... دعت إليه الأديان جميعها ...دعنا من هذا وقل لي ما يشغلك ربما ساعدتك.

- لم أنشغل بأحد مثلما انشغلت بها، لقد نجحت معها وقدمت أحسن أدواري في السينما .

- عمن تتحدث؟

- ألا تعرف .. زينب .. زينب مكي .. أخذت بيدي فأسلمت لها قيادي وفؤادي وقلبي وكل جوارحي، عرفني الناس من خلالها ووجدت سعادتي معها، لكن الفارق كبير .. أين أنا منها، لا أريد شيئاً سوى أن أكون بجوارها، لم أعرف معنى الحب إلا معها .. تواضعها أشعرني بقيمتي ونسيت كل شيء .. أدمنت الخمر وما عدت أشعر بنفسي، أفضيت لها بما في قلبي ..مستعد أن أفعل أي شيء لأنال رضاها، في بيتها كثيراً ما نلتقي، أسهر معها أحياناً ولكن في إطار من الرهبة، كيف أنال منها وأنا الراهب في محرابها!

استمع ناجي إلى صديقه في صمت وانتقل بروحه وعقله بعيـــداً، لم يكن كومبارس يسعي لمن يشّهره لكنه أحبها بصدق وسعـــي للارتباط بها مضـــــحياً بأســـرته وأشقاءه وعائلته، مازال الحوار قائماً بينها وبينه متواصلاً صباح مساء، موريس يحبها سعياً للشهرة والعمل حتى يغطي نفقاته من الإدمان أما ناجي فشيء آخر، يتردد عليها بحـــكم العـــمل أو يلتقيا في مكتب المنتج أو المخرج لقراءة سيناريو من إعداده ، همس من الغيرة سرى بين قلب ناجي وموريس، شيء ما أقلقه لا يعرف مصدره أم أنها هواجس لا أساس لها في الواقع! وعند المنعطف توادعا وتواعدا على لقاء آخر...ربما صدفة

حان موعد صالون السبت، تجدد اللقاء في السابعة مساءً ومواكبة للأحداث تم تغيير موضوع النقاش إلي فلسفة الأمن وثقافة السلطة وتوافد الضيوف، الشاعر عبد الستار الصعيدي والفنانة زينب مكي والناقد السينمائي والسينارست ناجي نجيب وموريس عوض الذي جاء مهرولاً فور علمه بوجود زينب، كذلك حضرت الفنانة نسمة ووليد حسني والفنان رفعت سليمان وحمدي صالح والصحفي فرحات فتحي، ليبدأ اللقاء:

إنه لوضع مؤسف ما يجري الآن على الساحة السياسية

والممارسات غير الإنسانية بين السلطة وبين الشعب، السلطة مرض أرجو أن نتعافى منه في أقرب وقت وأن تكون في خدمة الشعب، إن ما طرأ على الساحة من أحداث تمثلت في وقائع قتل وتعذيب واختفاء قسري على يد الشرطة أمر محزن للغاية دفعني لإرجاء موضوع الصالون حتى إشعار آخر واستبدلناه بموضوع الساعة، والكلمة الآن لمن يريد أن يتحدث ..

تقدم فرحات فتحي:

أرى أن أمن الدولة وأمن المواطن لا يتحقق بالرفق بهؤلاء المجرمين، إن مقاومة السلطات فعل جرمه القانون، إذ كيف يتطاول طالب على رجل الأمن أو سائق على رجل المرور! مشاجرة عادية انتهت بمقتل أحد أطرافها، ألم يكن متوقعاً أن يكون الشرطي هو الضحية ..اترك الحكم لكم ..

انطلق النقاش من طيف لآخر حتى صرخ عبد الستار:

السلطة مفسدة وأعتقد أنه لن يطول الوقت حتى نشهد تغييراً حاداً على الساحة السياسية، سيطيح الشعب بكل رؤوس الفساد، وأنا هنا أرد على الأخ فرحات وأجيبه عن سؤاله: السائق والطالب كلاهما كان أعزل فمن أطلق الرصاص يا سيد فرحات؟ من صفع من؟ أكان المطلوب من السائق ومن الطالب أن يمتثل لإهدار كرامته! ... التغيير قادم لا محالة.

انتقل الحديث بين مؤيد ومعارض وإن اتفق أغلب الحضور على ضرورة تغيير ثقافة السلطة لينتقل الحديث إلى عازف الكمان وليد حسني وهو ضيف دائم من ضيوف الصالون وهو بحكم موقعه وعمله في أمن الدولة لرأيه أهمية كبيرة وقبل أن

يبدأ حديثه ورد إلى المنصة عدد من الأسئلة:

لا توجد حقيقة مطلقة وليس كل ما يُعرف يقال، أنا هنا في صالون الأديب يونس المصري أشرف بأن أكون واحد منكم، هاو للفن أما موضوع الوظيفة فشيء آخر، ربما غابت عنكم أشياء كثيرة وكما تعلمون فإن بلادنا مستهدفة على مر التاريخ حتى قامت ثورة يوليو، كان لابد من حمايتها وإحاطتها بسياج قوي من المخلصين من أبناء هذا الشعب ولكل تغيير أعداء، جابهت الثورة أعدائها من التنظيمات الشيوعية والجماعات اليسارية والدينية وما حدث من جماعة الإخوان المسلمين كلنا نعرفه، الثورة لابد أن تحمي مكتسباتها، لولا ثورة يوليو ما كنا نحن، أعداء الوطن لا تفتر عزيمتهم وقد أخذ البعض على الدولة اكتفاء عبد الناصر بكيان سياسي واحد وهو الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي، كان لابد من إجراءات لحماية الثورة وكانت الديمقراطية ترف لا نملكه في تلك المرحلة، ثم ماذا حدث؟ بعد وفاة عبد الناصر تولى من جاء بعده .. سمح بتعدد الأحزاب وسمح للتيارات الدينية بالتواجد لمحاربة الشيوعيين واليسار وقد خرج من تلك الجماعات الدينية تنظيم الجهاد وكل التنظيمات الإرهابية التي أنهت حياته، السادات شخصية وطنية سواء اتفقنا أو اختلفنا معه راح ضحية الغول الذي أطلقه لمحاربة اليسار الشيوعي... .....

انطلق صوت عبد الستار:

- وهل استطاع السادات القضاء على اليسار المصري؟ بالطبع لا، لم يستطع ولا على اليمين المتطرف، لم يكن السادات وطنياً أبداً بعد حرب أكتوبر، بل كانت له رؤيته السياسية التي

أفضت بنا إلى ما انتهينا إليه وتولي الرئيس الحالي، مازالت السلطة كما هي وسياسة مصر الخارجية على ما كانت عليه، أرجو أن نلتزم بموضوع الصالون .

- اتفق معك فيما ذكرت لكن لا تنسى أن التيار الإسلامي مازال يهدد مصالح الدولة العليا، كذلك منظمات المجتمع المدني وكل المنظمات العاملة في مجال الحريات وحقوق الإنسان، مازالت تتلقى أموالاً من الخارج من أجل إحداث ما يسمى بالديمقراطية، اعترف أن هناك تجاوزات من قبل رجال الأمن في مصر وسائر الدول العربية .

- متى يُحترم المواطن ونقر أن له كرامة ؟

- دعوني أجيب بسؤال: ماذا تفعل وأمامك من يدلي باعتراف غير كامل عن علاقته وتمويله من قبل جماعات خارجية تسعى لقلب نظام الحكم، ماذا أنت فاعل وأنت تعلم بحسك الأمني أنه لا يقر بالحقيقة كاملة ويتستر على من يتربصون بالبلاد، نعم هناك تعذيب، قد يستعير الإنسان في لحظة ما أساليب الحيوانات للحصول على ما يحقق له أمنه وأمانه، ليعلم الجميع أن في هذا الوطن رجال مخلصون أوفياء وضعوا مصلحة البلد العليا فوق رؤوسهم، يوجهون السياسة العامة رقباء على رئيس الجمهورية، هؤلاء الشرفاء يمثلون عدد من الأجهزة مناط بها حماية الوطن أمنياً وعسكرياً داخلياً وخارجياً، هؤلاء الشرفاء هم الذين قادوا مصر علي مر السنين حتى حققوا استقلالها وحافظوا على أمنها وأمانها، لسنا ملائكة يا سادة، منا الصالح ومنا من دون ذلك، والآن حان وقت الإجابة عن الأسئلة، بالنسبة لموضوع التعذيب في أقسام الشرطة، قد تحدث تجاوزات

فنحن بشر والتجاوزات موجودة في كل مكان .....

اعترض البعض، رفع عبد الستار يده محتجاً:

- وليد بك .. من فضلك تريث قليلاً، لسنا ملائكة كما تقول وأنا معك ولكن لماذا يظهر الشياطين فقط في أقسام الشرطة والسجون وأماكن الاحتجاز، هل تتصور أنه يمكن تعليق أحد المواطنين في وزارة الإسكان أو مكتب رئيس حي الأزبكية لأنه تجاوز أو تشاجر مع أحد الموظفين، أليس رجل الشرطة موظفاً! من أعطى الحق لهؤلاء إلا فلسفة السلطة ومفهومها المعوج في رؤوس أصحاب نفوس مريضة تأبى أن تتقدم، وأنا من هنا أعلنها: باق من الزمن مائتي عام إلا قليلاً حتى نتقدم ونحفظ للمواطن كرامته وبعدها حدثني عن الانتماء وما نراه الآن في الشارع المصري خير دليل على ذلك ..أرجوك ادخل في الموضوع ولا تنمق الكلام .

من جانبه عقب فرحات فتحي على كلام الشاعر بقوله:

يا جماعة لابد من انضباط الشارع المصري فهل يعقل مثلاً أن يعتدي ضابط شرطة على مواطن يلتزم بالقانون !

موقف عبد الستار كان واضحاً منذ البداية والموقف المزري لفرحات جاء مؤيداً للسلطة على طول الخط، مثقف نمّى نفسه بنفسه وصاحب طموح تجاوز كل ما يؤمن به من قيم ..المجال مازال مفتوحاً ليواصل وليد حسني الإجابة عن الأسئلة بين مؤيد ومعارض حتى انتهى إلى أن مفهوم الأمن واحد في مصر وسائر البلاد الأخرى وأن أمن الوطن لا ينفصل أبداً عن أمن المواطن وأن مفهوم السجن ما هو إلا تقييد للحرية وأن فلسفة

العقوبة الردع وما نراه الآن من أحداث ما هو إلا حالات فردية تم إحالة المتسببين فيها إلى التحقيق، وفي سياق الإجابة تعرض لسؤال حول فلسفة السلطة في بلادنا وقد بدا مرهقاً وهو يجيب:

السلطة منذ القدم موروث ثقافي في حاجة إلى تغيير ولن يحدث التغيير إلا بجهود المثقفين والكتاب والقائمين على الشأن الثقافي، عليهم دور كبير في تشكيل وتنمية وعي المواطن بما له من حقوق وما عليه من واجبات، المسألة تحتاج إلى وقت وجهد متواصل، نحن بحاجة إلى ثورة ثقافية حتى يتغير المجتمع تغييراً ذاتياً ويتجه اتجاهاً مباشراً نحو الديمقراطية، قد يسقط منا ضحايا في سبيل الحرية فالحرية قيمة تستحق أن نقاتل من أجلها ..أشكركم .

أجاب وليد على أسئلة الحضور بذكاء شديد، لم ينس أنه ترس في الآلة الأمنية، ربما أخذته الإجابة في بعض الأحيان من نفسه ونصفه الآخر، عازف كمان مرهف الحس لكن الوظيفة دائماً ما تترك بصمة على صاحبها، تؤثر فيه ويتأثر بها وإن حرص على غير ذلك .

ضج الناس أكثر عن ذي قبل وضاق بهم الحال وانعكست الحالة الاقتصادية والسياسية والإحباط على الوجوه وجوماً وعبوساً، كادت الحياة أن تتوقف، تسير بقوة الدفع وبين الحين والحين خطابات هنا وهناك لرئيس الجمهورية وانتخابات برلمانية غير نزيهة ومازال التيار الإسلامي يحاول أن يحقق وجوده علي الساحة فمنذ ثلاثة أعوام جرت انتخابات ٢٠٠٥ حققت فيها جماعة الإخوان ٨٨ مقعداً في سابقة لم تحدث من قبل، وعقد الصفقات بين الحكومة وبين التيار الإسلامي واقع حاولت الدولة إنكاره، كما أن أغلب النقابات المهنية سيطر عليها

التيار الإسلامي المتغلغل بين طبقات الشعب، داعماً ومساعداً ومرشداً ومستقطباً لكل الطبقات الفقيرة التي باتت تشكو كل يوم إلى الله، مضى القائمون على الفن يربحون الملايين معبرين عن حال المجتمع المتدهور في كل مرافقه وكرامته أيضاً .

ولدي الباب حرص وليد على مصافحة نسمة، لا يعرف لقلبه دواء، كلما ذكر اسمها ارتج وعلى ميعاد اتفقا ..

انصرف رفعت سليمان وصديقه حمدي صالح وقد انحسرت عنهما الأضواء ولم يعد لهم ظهور إلا بين الحين والحين في مناسبات أغلبها حضور عزاء ومراسم تشييع جنازات وقد حرصا على الظهور والحضور في ذاكرة الشعب، كما غادر الشاعر عبد الستار وكان قد سبقهم فرحات فتحي كما انفردت زينب مكي بناجي نجيب وراح موريس يتابعها من طرف خفي وحقد دفين، آثر صاحب الصالون البقاء بمفرده فترة ليست بالقليلة راح خلالها يتأمل ضيوفه وحياة كل منهم، وليد حسني وحمدي صالح كل منهما يقيم بمفرده ، يتذكر مقولة رفعت سليمان حين تستبد به ألام الوحدة: سيموت الإنسان وحيداً وسيخرج من الدنيا منفرداً كما دخلها حتى لو شيع جنازته مليون من البشر .

الوسط الفني مفعم بالحكايات والقصص المثيرة، منها حكاية موريس عوض، وسيم شاعت علاقته بالفنانة زينب مكي، تعلق باسمها من أجل الشهرة وحاجته للمال، لا ترد له طلباً، أدمنته كما أدمن الخمر، لا يعرف الحب وهى عاشقة لها قلب، تهوى الشعر وتحلّق في السماوات العلا مع بن زيدون وولادة وسائر الشعراء العشاق، تذوب عشقاً وهى تقرأ:

إذا كان ذنبي أن حبك قاتلي ** فكل ليالي العاشقين ذنوب

أتوب إلى ربي وإني لمرة ** يسامحني ربي إليك أتوب

يا شقيق الروح من جسدي ** أهواً بي منك أم ألم

موريس لا يلق بالاً لهذا الهراء قدر اهتمامه بالمال والإدمان، أشركته معها في عدد من الأفلام حتى أصبح وجهاً مألوفاً، له جمهور كبير شجعه على إقامة علاقات نسائية مع أكثر من واحدة وتناثرت الأقاويل وتعددت الفضائح، هكذا الوسط الفني .. كل يوم جديد، وعلي فترات متتابعة وسنوات متتالية تطالعنا الصحف بأخبار القبض على عدد من الفنانين والفنانات بتهمة تعاطي المخدرات وحيازتها ويهتم الرأي العام بخبر الفنان وما إن تنتهي القصة حتى تطالعنا الأخبار بالقبض على فنان آخر، ومن عُثر عليه قتيلاً بجوار بيته إثر تعاطيه جرعة هيروين زائدة ومن وجدوه عارياً وسط بركة من الدماء، مازالت الأخبار تتوالى، وتقام سرادقات العزاء يشارك فيها حمدي صالح ورفعت سليمان، وبين حفلات التأبين وحضور الجنازات وتوزيع الجوائز مازال الصراع مستمراً من أجل الشهرة .. يتقابلون بالأحضان والقبلات الزائفة تبدو من خلف الأقنعة، أما من انحسرت عنهم الشهرة أمثال رفعت وحمدي يعيشون على معاش هزيل لا يكفي لعلاج أحدهم وقد تكالبت عليه الأمراض مما زاد من ألمه النفسي الذي امتد تأثيره إلى سائر الجسد، لا يسأل عنه أحد إلا البواب والجيران، لا يشعر بالحياة إلا في صالون يونس المصري كضيف شرف أو مستمع يشعر بالمتعة بين أناس يعرفونه، يذكّرونه بماضيه الجميل والشهرة التي راحت وحل محلها وجع القلب، للشهرة حنين وبريق وبهجة

إذا أقبلت، وألم إذا أدبرت والأريب من يوازن بين الألم وبين السعادة، هكذا مضت الحياة بين الصديقين يطمئن كل منهما على الآخر وبينما يطالعون الأخبار تصدرت صورة فرحات فتحي الصفحة تعلن عن مناقشة مجموعة قصصية جديدة في ندوة الخميس بدار الأدباء، يتبنى أنصاف الموهوبين والمتواضعات اللواتي تعلقن بأمل كاذب أن تصبح يوماً روائية أو شاعرة ومن وراء التشجيع توارت أغراضه فلم تعد زوجته فوقية تكفي طموحه الحسي، وكثور هائج انطلق حتى ذاعت شهرته في الأوساط الأدبية أما في الوسط الصحفي فكان مكروهاً، سبقته سمعته إلى أروقة النقابة، لم يكن فرحات مخلصاً لشعره يوماً قدر إخلاصه وتطلعه الجامح للشهرة وكيف يصل إلى مقدمة الصفوف بعد أن جاء من قاع الجنوب وقد تحقق له ما أراد لكنه يأبى الرضا، فلم يرض عن نفسه يومين متتاليين، نهم الشهرة أورثه الجنون، وعلى المقهى الثقافي بوسط القاهرة جلس مع نفر من المبدعين يتلو عليهم ما تيسر من أخبار الشعر والشعراء، عن الجماعات الأدبية تحدث بلغة الناقد والشاعر صاحب الرسالة وأميرة وصفي تستمع إليه في رهبة، بهرها بمعسول الكلام عن المستقبل وكيف أنها شاعرة تستحق الكثير، موهبة ضعيفة من حيث البناء الشعري أدت بها في النهاية إلى اللجوء لفرحات ليشير عليها وفي بحر القوافي تنقلت معه من شاطئ إلى آخر إلى شقتها بمدينة طنطا، في بيتها كفر بكل قيمة وراح ينهل منها بورقة عرفية وهي المطلقة غير مرة، الزواج العرفي ربما يعصمها من الناس، وبين المودة والرحمة والموائد ومن كل زوج اثنين دارت رأسه حتى رقصت وأميرة ترقص حتى الدوار، ذات حساسية مرهفة في الفراش، مرهفة

بشكل فج عربدت فيه الغريزة وقد تجاوزت حدود التلميح إلى التصريح فصرحت بتباريح الهوى وهو بجوارها يرتب قصائدها وخصلة من شعرها، اكتمل الديوان الأول ولابد من طبع الثاني طالما الطبع يسمح، على جسـدها مر بشفتيه بآلاف القُبـل ليؤهلها لعضوية نقابة الأدباء، وبالعاميـة أذاقته الحب ألوان، أميرة وصفي فاقت زوجته جمالاً، تبحث عن الشهرة كما يبحث عنها، هكذا التقيا على طريق واحد، من طنطا إلى القاهرة إلى كل الندوات، تشعر بجمالها وتستمع بأثره على العيون الجائعة، تلتقط أذنيها كلمات الإعجاب ، شيء ما يدفعها للظهور، نوع من الشراهة وعدم القناعة حتى وهو معها، نظرات الرجال تسعدها ويسعد هو بصحبتها في مقر الجريدة حتى ساعة متأخرة من الليل وتناثرت الأقاويل وهي لا تأبه بذلك فكل شيء له ثمن، تعددت العلاقات ما بين تليفون ولقاء وفراش والقادم من الجنوب مبهوراً بعد أن ظن أنه مرغوباً لذاته، صاحب الطرطور والمنظار السميك وأمراض تعوقه عن إشباع رغبات أشعلت ذهنه لكن الواقع أكثر مرارة، يكذّب ذلك في كل مناسبة لتتحول العلاقة بينه وبينها إلى ما يشبه الصدقة الجارية، أصابها الفتور، لم يعد فرحات قادراً على الفعل ورد الفعل وتحول إلى مجرد وعد ووسيلة للتسلق، نفس المبدأ الذي اعتنقه ووظفه في حياته يفعله مع الآخرين لتنتهي العلاقة إلى مجرد ورقة وذكرى تلاشت تدريجياً مع بداية علاقة جديدة بموظفة بالتليفزيون تكتب القصة، تعاني الحرمان والظلم بعد أن مات أبوها، لم تكن بجمال أميرة لكن قوامها أدار رأسه وهو يردد: يؤتي الحكمة من يشاء .. تأودها في مشيها فيه حكمة حُرمت منها جميع النساء، هكذا كانت نادية

عويس زوجة بورقة عرفية بعد أن أنهت أميرة كل ما يربطها بفرحات إثر مشادة كلامية وتلاسن، شيء غريب أن يحدث الشجار أثناء ممارسة الحب، نوع من الملل اعتراها وقد أيقنت أن مستقبلها معه كامرأة انتهى وما تريده منه قد تحقق، هي الآن كاتبة وشاعرة وعضو نقابة الأدباء .

وكما فعل مع أميرة، فعل الشيء نفسه مع نادية، أوهمها أن المستقبل فاتحاً ذراعيه فأفسحت له الطريق ليدخل بها وتواترت المواعيد في بيتها، مطلقة كمن سبقتها، لم يمر من الوقت الكثير حتى أصبحت نادية وجهاً مألوفاً لدى المشاهد وهى تقدم برنامجاً عن فن كتابة القصة تستضيف فيه الناقد والشاعر فرحات فتحي كضيف دائم، كل منهما يخدّم على الآخر، هكذا كانت أصول اللعبة، إخلاصه لم يكن للأدب قدر نقيضه، عاشقاً لاسمه حتى القداسة، في كل أمسية هو الأول والآخر حتى في المقاهي والمطاعم، كريم إلى أبعد مدى ليقولوا عنه ذلك ولقد قال عنه المنصفون أنه مثقف بحق وناقد معتبر أما كونه شاعراً فالمسألة فيها نظر, ناشط ثقافي فاعل فاق كل ناشط سياسي، عين على الأدب وعين على السياسة، يتحدث في المنتديات والمقاهي عن الحالة السياسية التي تمر بها البلاد وكيف أن المجتمع يقف على حافة بركان وأنه ضد التوريث في الحكم وأنه يجب إعطاء الفرصة للشباب وهو في كل حالاته ناقم

حاقد على كل الأنظمة العربية وشيوخ الخليج، لم ينس لحظة أنه أديب وصحفي رغم إخفاقه في انتخابات نقابة الصحفيين إلا أنه مازال يحاول في انتخابات نقابة الأدباء ونادي القصة ..

وفي خضم الأحداث السياسية التي يمر بها المجتمع وتعاظم التيار الإسلامي حدثته نفسه أن يؤسس حزباً ..ولم لا؟ كثير من الأدباء والصحفيين كانوا أعضاء في أحزاب سياسية، لماذا لا يكون مثلهم! مؤكد هو أفضل منهم، الفكرة اختمرت في رأسه وتمادى حتى أرقته ومازال الأمل يداعبه وهو يسعى للانتشار أكثر مروجاً لفكرة الحزب في الأوساط الأدبية والمنتديات، دائم الاتصال بالأديب يونس المصري الذي دعا لصالون السبت لمناقشة الاضطرابات السياسية وأثرها في الانتخابات القادمة، تجدد الموعد في السابعة مساءً بحضور كل من وليد حسني وباقي الضيوف وعلي باب المصعد تقابل أكثر من زائر بين ضحكات ومصافحة باليد وقبلة علي الخد، أزيلت الفوارق بين الرجال والنساء، نادراً ما تسلّم العين، أكثرهم يتصافحون باليد والفم أو بالاثنين معاً، قليلات لا يسمحن بالاقتراب .

حضر وليد مبكراً وقد جلس في مواجهة الباب الخارجي، ترددت عينيه بين معصمه وساعة الحائط، ارتج قلبه حين تناهى إلى سمعه صوتها، ضحكتها الرنانة أطاحت به: لمن تضحك يا تُرى! وتواصلت الضحكة وامتدت بشكل مثير، انتفض وقلبه يسابقه نحو الباب، امتدت يده إلى ذراعيها تضع قبلة على يدها متقدماً بها نحو الداخل وفي ركن منزو اشتعل الهمس بينهما:

- نسمة ...حرام عليك .

- وليد بك ..

- وليد فقط .

- لم أعد رجل الأمس منذ التقيتك!

- أنت لا تعرف قدر نفسك ..

- الغريب أن رجل الأمن لم يعد يشعر بالأمن إلا في وجودك! تصوري .. آلاف يعملون لي ألف حساب بمجرد خروجي أو دخولي وصحوتي ومنامي ورغم ذلك لا أشعر بالأمان إلا معك، الحرس يشعرني بالاختناق ، حتى سيارتي أشبه بسجن متنقل، هجرتني أحلامي وصورتك لا تفارق عيني .

- كثير علي ..أي امرأة تتمنى جوارك ..

- لا أريد منهن شيئاً ..أريدك أنت، حدثيني كلما توافر الوقت أو أتيحت لك الفرصة .

- نلتقي في الصالون ..أكثر من ذلك صعب .. مجرد سلام ممكن أن يتحول إلى حادث سعيد وتكتب الصحف أن نسمة فؤاد تنتظر مولوداً ..الشائعات لا ترحم .

- ما يشغلني حبك وحب من يحبك..

- لا يمكن أن تكون أمن دولة! أنت شاعر!

امتدت يد وليد تلامس أناملها وفي عناق حار راحت راحتاها وتحول الهمس إلى صمت...يبدو أن فعاليات الصالون قد بدأت:

اسعد الله مساؤكم، دائما ما نلتقي على ما تفرضه الأحداث من اضطرابات سياسية واجتماعية وعلينا أن ندق ناقوس الخطر، الدولة في مأزق، على شفا منعطف خطير ووضع اجتماعي ينذر بثورة، يسعدنا أن يكون معنا الشاعر الكبير عبد الستار الصعيدي ومعنا أيضاً ممثل الفن والسلطة معاً الفنان العقيد وليد حسني وهو خير من يدلي بدلوه في تلك المرحلة كما نرحب بالناقد الشاعر فرحات فتحي ومعنا أيضاً الفنانة نسمة فؤاد ونتمنى للفنان رفعت سليمان وحمدي صالح الشفاء العاجل فقد تغيبا لوعكة صحية ألمت بهما ..استمر توافد الضيوف تباعاً وتقدم الشاعر عبد الستار من المنصة بوجه مريح غير مستريح لما تمر به البلاد:

إن كل الاحتجاجات والمظاهرات التي اندلعت في الآونة الأخيرة أمر يبعث علي القلق، الحكومة وعدت في كل البيانات الصادرة باهتمامها بمحدودي الدخل على مدى أكثر من خمسة وعشرين عاماً، الحكومة تعد ولا تفي حتى ضج الناس وبدلاً من توظيفهم باعت المصانع والشركات والأراضي لصالح فئة معينة من المحسوبين على السلطة، تم تسريح آلاف العمال وأطلت البطالة بوجهها القبيح، حوادث وجرائم تطالعنا بها الصحف صباح مساء، العنوسة بالملايين، فتيات كالورود ذبلن على أبواب الأربعين، والنتيجة بعد أن افتقدنا التكافل الاجتماعي في إطار من الشرع، أطل علينا تكافل من نوع آخر في ورقة عرفية أو علاقات غير مشروعة في الجامعات والمصالح الحكومية، حياة مؤقتة غير مستقلة، مرض اجتماعي تفشى لانعدام العدالة واتساع الفجوة بين الفقراء وبين الأغنياء في ظل قوانين رسخت للظلم، من كان يصدق أن الفجوة اتسعت بين الفقراء والفقراء وبين الأغنياء والأغنياء حتى وجدنا من يأكل من صناديق القمامة

ومن يمتلك المليارات والطائرات الخاصة ومن يمتلك بضعة ملايين، وبين هذا وذاك ضاعت منظومة العدالة الاجتماعية، بالأمس وقع حادث مؤسف لعدد من الشباب الطموح الهارب من أيامه إلى واقع جديد عبر البحر لتهبط بهم المركب المحملة بهموم أكثر من حمولتها في عمق البحر .. فضلاً عن حوادث الطرق، أكثر من ثمانية آلاف قتيل وما يقارب الثلاثين ألف مصاب حصيلة الحوادث كل عام، المنظومة فيها خلل يا سادة ..

ارتباك غير مبرر ران على وليد حسني وهو يدلي برأيه:

إن أي قرار تتخذه الحكومة تسبقه أطروحات وموائمات، إن مشكلة محدود الدخل مشكلة مزمنة، عملت الحكومات المتعاقبة على حلها، لكن كما تعلمون فإن الحكومة والقيادة السياسية ورثت إرثاً كبيراً من عهد السادات، كان للرجل فكراً سياسياً واقتصادياً، فمن الناحية السياسية أراد أن يؤمن مصر من أي مواجهات مع العدو، سعي لاستعادة الأرض المحتلة في سيناء وقت أن تخرجت من كلية الشرطة ..كنت ضابطاً صغيراً لا شأن لي بالسياسة، لكن مهمتنا تحقيق الأمن الداخلي وسلامة المجتمع وفوجئنا بالمظاهرات تندلع في كل مكان احتجاجاً علي عقد معاهدة السلام وكانت تعليمات القيادة السياسية القبض على قوى المعارضة لينتهي الأمر كما نعلم جميعاً بحادث المنصة، تولت القيادة الحالية زمام الأمور، وليعلم الجميع أن بيننا وبين إسرائيل معاهدة سلام وسفارة وسفير، ظهرت الجماعات المعارضة بما فيها التيار الإسلامي الذي كان له وجود قبل ثورة يوليو واستمر حتى الآن، كذلك التنظيمات الشيوعية موجودة أيضا وزج بهم في السجون لاعتزامهم قلب نظام الحكم ونمت الجماعات

الإسلامية ليخرج من عباءتها كل التنظيمات الجهادية ..

اهتمت القيادة السياسية بمشكلة الفقر والبطالة وهناك من الخطط ما يحقق الهدف، هدفنا هو العدالة الاجتماعية وتحقيق الأمـــن والأمـــــان للمواطنين .... وهنا انفـــعل فرحـــات:

أين هي الخطط؟ واقـــع الحـــال يقلع العين ويقتحمـــــها اقتحـــاماً، عـــن أي حياة كريمة تتحدث والناس تعـــــيش في المقابر بعد أن تحـــولت العاصمة إلى مقلب كبير للقمامة وأكبر تجمع للإحياء العشوائية، مازالت الفجوة بين الفقراء وبين الأغنياء قائمة تتسع يوماً بعد يوم، مازالت المصانع والشركات تباع والأراضي توزع على الأقارب وأنت أول من يعلم، إن أغلب خريجي الجامعات باعة متجولون! أما عن الشأن الثقافي وهو ما حرصت على أن أدلي فيه برأي فهو أمر في غاية الخطورة، إن بناء الإنسان أصعب كثيراً من بناء عمارة شاهقة، لا يمكن بناء الإنسان إلا بإعادة صياغته من جديد، يؤمن بالحق والعدل والمساواة والخير والجمال، يسعى للكمال، يتسق سلوكه مع ما يؤمن به، يتناسق مع الفكر ومستوياته، أن تكون أحلامه مواكبة لتصوراته، إذا تحقق ذلك فقد تحققت مبادئ علم الأخلاق، بالقراءة والمعرفة في كافة العلوم الإنسانية والتجريبية، علينا أن ننمي في الإنسان القدرة على إبداء الرأي والقدرة على التمييز والاختيار، أن تختار فأنت حر، نحن في حاجة إلى ثورة ثقافية وأن يعاد النظر في كل مرحلة من مراحل حياتنا في العلاقة بين السلطة وبين المثقف، العلاقة متوترة من عهد الفراعنة حتى الآن والإنسان البسيط هو الضحية، المجتمع هو الضحية والدولة أيضاً ككيان

اعتباري بين الأمم هي الضحية والجاني في الوقت نفسه.

وكما بدأ الصالون انتهى بين أحضان وقبلات وموعد لم يتحدد بين وليد حسني ونسمة فؤاد لتبدأ مرحلة أخرى في حياة كل منهم .....

مازال الوسط الفني مليء بالغرائب والأعاجيب كل يوم قصة وكل يوم حكاية، صدق أو لا تصدق فهذا شأنك وشأن كل متابع لأخبار الحمقى والمغفلين في كل زمان ومكان، الجميع يسعى للشهرة بجهد فاق السعي بين الصفا والمروة، المسألة الإيمانية على المحك، تأخذهم الحياة بين أحضانها ولا تدعهم إلا صرعى حديث قديم عن الحب والحنين تُرى: هل كل هذه المشاعر زائفة؟ حاول موريس إحاطة زينب مكي بتلك المشاعر وهى وحيدة تقيم بشقة في وسط القاهرة، عشرات الأيادي تمتد إليها لكنها تستريح لوسامة موريس، داومت على لقائه، يفضي إليها بمتاعبه، كثيراً ما رق قلبها لحاله رغم الاختلاف الواضح في الفكر والمكانة، حتى الاختلاف في العقيدة، لم يدخل الكنيسة إلا لحضور مناسبة، إكليل أو نصف إكليل، ناهز الأربعين، لولا المخدرات لتغيرت حياته، لم تُطرح فكرة الزواج إلا مع ناجي نجيب الناقد السينمائي والسيناريست هام بها عشقاً، لا تنسى دعمه، لا يجامل وهي فنانة قديرة، قسوته عليها أفادتها كثيراً بقدر ما آلمتها وهي تردد: ناجي نجيب ... ناجي! وكان لابد من لقاء في حديقة النادي، أشارت عقارب الساعة إشارات كثيرة، تنظر إلى معصمها بين الحين والحين، علامات الغضب بدت علي وجهها، لابد أن تعرف فيما أخطأت وعلى أي أساس بنى نقده .

وبقامته التي نافست الأشجار طولاً اقترب من مجلسها، لم

تشعر إلا بيد تسحب الكرسي ليجلس في المواجهة:

- زينب هانم ..صباح الخير....شعرت بالقلق، من نبرة صوتك أعرف ما بك ..

- ا يا شيخ! منذ متي وأنت تشـــعر بي؟ وما هذا الـــهراء المكتوب عني!

- أنا ..أنا هراء ..لا تخلـــطي الأوراق ..الـــدور الذي قمت به دون المـــستوى ..لست أنت التي أعـــرفها، إن للجمهور عليك حق، بصراحة .. لم أقتنع بدورك .

- تقتنع أو لا تقتنع ..أنت حر والناس أحرار .

- صحيح الناس فيما يعشقون مذاهب ..لكنك لست كأي امرأة ..أرجوك افهمي ما قصدته ..

- تقصد التجريح ..قلت لك يا ناجي ألف مرة التزم حدود النقد واترك المسائل الشخصية، مـــالك ووزني زائـــد أم ناقص، هل أثر ذلك على الدور والحركة والمـــيزانسين، ألا تعـــرف أن للعمل مخـــرجاً ومنتجـاً حـــريص علـــى نجاحـــه!

- لا تدريـــن من أنت بالنسبة لي .. لست كأي امرأة ..صدقيني ..أريدك كما أريد أنا، في أجمل صوت وصورة وثوب، أن تكوني حديث الناس، زينب التي عرفتها قبل عشر سنوات، نقدي لك نقد رجل لحبيبته، اعتذر فقد جاوزت الحد .

- تكلم يا ناجي .. لماذا لم تتكلم من قبل وبيتي مفتوح للجميع ..اقدر مشاعرك وطيبة قلبك ...

- أريد أن أسألك سؤالاً: هل للمشاعر دين؟

- ماذا تقصد؟

- مجرد سؤال ..زينب .. أريدك زوجة لي ..

ألجمتها الدهشة! لم تصدق .. ناجي على غير دينها وهي لا تعرف من الدين إلا اسمها وبعض الآيات، لا علاقة لها بالصلاة والصوم، هويتها إسلامية وهذا يكفي ليمنع زواجها منه، لماذا هى بالتحديد؟ ما عندها عند كل نساء الأرض ....أفاقت من شرودها:

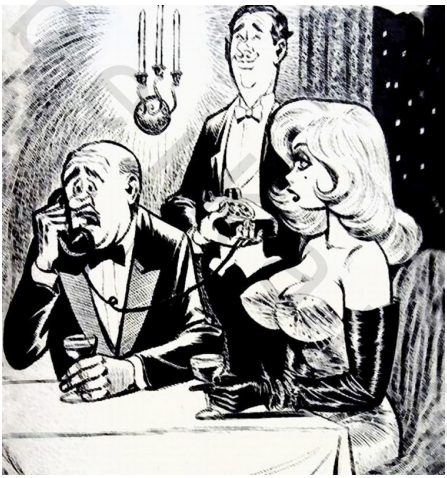

- ماذا تقول؟ كيف؟ والناس .....كيف تواجه المجتمع، أهلك .. أسرتك ومعارفك ... أصدقائك والكنيسة ..

- تقبلين زواجي منك؟

- فكر جيداً ..

- فكرت كثيراً ودرست كافة الديانات السماوية وغير السماوية والمذاهب الفلسفية وشعرت بميل غريب إلى الإسلام ولا يعتبر ميلي هذا قدحاً في الأديان الأخرى ولكن إيماناً مني بمدى احترام الإسلام لكل الأديان وهو ما أعجبني، أعجبني كذلك حبي لك، ملأت علي حياتي وأثريت وجداني ..

- وماذا يقولون عنا؟

- دعيهم .. إنني عاشق، وهل كانت ليلى أفضل منك، كانت أقل جمالاً، لكنه الحب يُذهب عقل المُحب ويغيره من حال إلى حال ..تعرفي.....كثيراً ما تعاطفت مع المجنون، يأسر قلبي بكلماته فأتذكرك وكأني هو وأنت ليلى ..

- متى أراك؟

- كل يوم اشتاق إليك ..

تحرك قلب زينب وتنقل بين إعجابها بموريس وعلاقتها به وبين حب ناجي لها، عليها أن تحسم أمرها والعمر من بين يديها يتسرب، ومهما التف الناس حولها تبيت وحيدة وتساءلت: هل تستحق أن يترك رجلاً دينه من أجلها؟ مؤكد أنه مريض فلا يُقدم على هذه الخطوة إلا مجنون، تعددت اللقاءات في النادي وفي بيتها وهي تتابع بريق حب في عينيه .

في حديقة النادي النهري دعت الإدارة إلى حفل كبير تكريماً لأبطال مسلسل من القلب للقلب وزعت فيه الجوائز ليستمر الحفل حتى ساعة متأخرة من الليل، فازت زينب بجائزة أحسن ممثلة ليتقدم الناقد السينمائي ناجي نجيب بباقة ورد وبيده الأخرى الجائزة، صعد إلى المسرح ليصافحها معانقاً وسط دهشة الجمهور، المرة الأولى التي يفعلها، اعتراها الخجل وتراوحت الألوان على وجهها وانخرط الجميع في تصفيق حاد، تناول ناجي الميكروفون:

السيدات والسادة ..أخوكم محمد ناجي نجيب .....

انطلقت الضحكات نقلتها الكاميرا من وجه إلى وجه وآهة من صوت إلى صوت وضربات كفً بكف وآخر يقول:

- الله عليك ..محمد ناجي مرة واحدة .هههههههه

- غريب أمره! مثقف ثقافة عالية وخفيف الظل أيضاً .

واصل ناجي كلامه:

لمن ضحكوا وظنوا أنها دعاية أقول: نعم ومن الآن، بل من الأمس أصبحت محمد ناجي نجيب ويسعدني أن أكون كذلك.. الدين لله تحت أي مسمى والحب لا دين له ولا وطن، إن حب الله وحبي لزينب تفاعلا داخلي فتحولت إلى كائن جديد، لا أشعر بنفسي ووجودي إلا معها، على طريق السعادة بدأت خطوة علي أن أكملها بالإعلان عن شريكة حياتي وما بقي لي من عمر أقدمه لها مهر ..

وبين دهشة الحضور ولمعة ود تألق نورها فوق الجبين توافد المهنئون وانهالت باقات ورد علي العروسين في لوحة بديعة جمعت بين محمد ناجي وزينب مكي لتبدأ مرحلة جديدة في حياتها أرقت موريس عوض وهو يتأمل مستقبل العلاقة بينهما، كان لإعلان الخبر وقع كبير في الوسط الفني وفي جميع الأوساط الأدبية والصحفية تناقلته أجهزة الإعلام بالتحليل والتأويل كما كان لإعلان إسلام ناجي نجيب ردود أفعال من عائلته وأقاربه والمحيطين، رجل مثقف مستنير يحب الفن والحياة، يتأمل جمال المرأة، جمال متفرد، لا توجد امرأة تشبه الأخرى، مسألة التفرد راقت له وأرّقته، دليل على حكمة لا ندركها! الحب علاقة بين الله وبين جميع الكائنات، من يعرف الله فقد عرف الحب، خالق الأديان جميعها، كلها من أصل واحد يهدف إلى سعادة البشر ومهما اختلفت الوسائل وتعددت السبل واختلفت الطوائف والملل كلها تؤدي إلى عبادة الرحمن، لم

يخشع قلب ناجي إلا لله ولم يهتز إلا لزينب، معها حلقت روحه في السماوات العلا وكأنه يعبد الله من خلالها، لم تكن بكراً فقد مرت بتجربة زواج منذ خمسة عشر عاماً، وما قد أثير عن علاقتها بموريس لم يلتفت إليه كثيراً فالوسط الفني يعيش فوق بركان من الأقاويل، من كل ألف خبر يصدق واحد، لتواصل زينب نجاحها في انتظار عقد القران، لم تدرك يوماً أنها تستحق كل هذا الحب، يكفي أنه غير دينه من أجلها، أعجبتها جرأته وتمرده على الواقع وتحديه وتمسكه وإصراره على الخطوة التي أقدم عليها، اقترحت زينب ضمن ما اقترحت أن يكون عقد القران في مكان غير تقليدي، لا تعرف كيف خطر ببالها الأديب يونس المصري، هذا الرجل لا يعرف الكراهية، مخلص لأدبه وعمله ووطنه، انسب مكان لعقد القرآن صالون السبت ..

obeikandl.com

ما من يوم يمر إلا ويزيد الارتباط بين وليد ونسمة، تلك الفتاة التي هبطت علي الوسط الفني من وسط الدلتا لتهز وسط العاصمة، أطلقوا عليها ألقاب كثيرة، إن مالت تميل الرؤوس، لا فرق بينها وبين الخمر كلاهما القرب منه مسكر!

استولت على قلب وليد وغيّرته، في الصباح أسد جسور وفي الليل ساهم الطرف كأحلام المساء والنغمات تنساب من بين أصابعه حيرة ولوعة واشتياقاً ينشد اللقاء، لم يكن حبه حسياً فلديه لو شاء قائمة بأسماء بنات الهوى والليل والنهار، بعضهن من أُسر لها في التاريخ ذكر، ونساء تراهم فضليات لكن ممارسة الجنس شيء وطقوس العبادة شيء آخر، سمع من أصدقائه عن قصص العشق ألوان، ليست الفضيلة في الحجاب أو النقاب ولا ستر الجسد، لكن الحرة الأبية لا تبيع جسدها ولو ماتت من الجوع، فكرته عن الحب والإخلاص جنحت به إلى المثالية ذات الجذور المتأصلة عند الفلاسفة وأصحاب الفكر والشعراء العشاق، الحب عنده الأمل والوصال واللقاء، لم تشعر نسمة بما يقوله بل اقتربت منه كنوع من الحماية، إلا حمايتها من نفسها، لا تهوى القيود، تجنح منذ الصغر نحو الحرية وترفع راية الاستقلال مع كل هزة وسط، في ذلك المساء التقيا على موعد حددته الصدفة مع دعوة إلى حفل زفاف في أرقى فنادق القاهرة، من بين المدعوين كان وليد، كمن في ركن من القاعة يسمح له بمتابعتها ومتابعة الرجال، رصاصات تنطلق من أعينهم تعري جسدها وتخترقه وهو لا يملك للبغي رداً حتى إذا ما انتهت من رقصتها أشار إليها أن تتبعه إلي حيث يجلس ودار حوار:

- أحسنت ..أحسنت يا نسمة، ترقصين بصدق .

- لا افهم ما تقصده! هل الرقص فيه الصدق والكذب؟

- طبعا ..أنت موهوبة ولست مؤدية ..نسمة ..أريد أن أضع حداً لنظرات الرجال ..ترقصين لي وحدي .

- اوكي ..أمر عليك الليلة إن أردت ..

- أريدك لي وحدي لا شريك لي في رقصك وحبك .. حرام أن يجمعنا بيت!

- وليد بك ..تعرف موقفي من القيود .. أنا لا أطيق الاستقرار ..أريد أن احلق في السماء وأن يتردد اسمي على كل لسان، ألم تسمع التصفيق ..انسي الموضوع ..

- لا يهمني الزواج .. أريدك أنت ..أريد عينيك تعانق روحي، أن أغيب عن الوعي وأنا ارشف من رحيق وجنتيك، آه لو تعرفين ما فعلت بي عيناك منذ رأيتك لأصابك الحزن .. لا تحرميني لقائك، حياتي معك حياة فوق حياة .

- أنا لك مدى العمر، أنت صديق عزيز ..لو كان الأمر بيدي لعشت معك ألف عام لكنك تعرف موقفي ..

استمرت فقرات الحفل بين غناء ورقص، استأذنت من وليد أن تتحدث إلى العروس، أعجبتها الفقرة الفنية وأعجبت أكثر برقص نسمة وتمنت أن تكون مثلها، اقتربت منها وتبادلا أرقام التليفونات، العروس خريجة الحقوق قبل خمس سنوات، مناضلة من طراز رفيع، قادت كثير من المظاهرات للإفراج عن زملائها المعتقلين ومظاهرات أخرى ضد العدوان على

غزة كما حدثت اشتباكات بينها وبين التيار الإسلامي حتى تم اعتقالها وأفرج عنها مع زميلها احمد سعيد، تخـــرّج معها في نفس العام ومنذ ذلك الحين انقطعت عنهـــا أخباره إلا من أخبـــــار استقتها من باقي زميلات الدفعة، لم تنس ما كان بينها وبينه، الرجل الوحيد الذي أحبته، استطاع أن يحتويها على صغر سنه، تشعر معه بالرجولة عن أي رجل آخر، انقطعت أخبـــاره سنوات وبضغط من والدتها تزوجت رجل الأعمال طلعت صبح ..بينهما عشر سنوات وعقل كالحجر وثروة سال لها لعاب سعاد هانم أو ساسسو كما يروق لها أن يناديها الأصدقاء، تعيش بمفردها بعد وفاة زوجها، اطمأن قلبها الآن وقد تحقق مستقبل ابنتها، فيـــــلا بمدينة الرحاب انتقلت إليها بعد حفل الزفـــاف مباشرة، توطدت العلاقة بينها وبين نسمة لا يفترقان، أما زوجها فهو عبارة عن عدة ملايين ومشروعات في طول البلاد وعرضها، تنقلت بين فراش زوجها وأمواله الطائلة تعاني غروره ونزواته، كلما اقترب منها خطوة ابتعدت عنه سنين، لم تحلم به يوماً زوجاً، لم يستطع عطرها أن يذيب قلبه ولا رائحتها أن تجذبه حين يقع عليها، لا يعرف كيف يرضيها أو حتى يؤلمها أو يحنو عليها، واجب مقدس يسعي

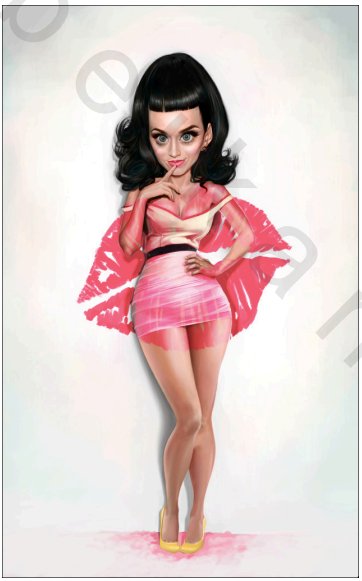

للانتهاء منه كأنه بين أحضان قطعة أثاث من نوع رديء، لم يقدر فيها قيمة الجسد ولا نعمة التواصل، لم تلتق عيناها أبداً بعينيه ولا شفتيها بشفتيه ، تشعر بمن يريد التهامها حية، تجفل منه وتراوغه، تتمنى الخلاص وما ارتوت جوارحها ولا أطلق لخيالها العنان، تناوبت عليها الأحزان وباعدت بينهما الأيام حتى عز اللقاء ، كل منهم له عالم خاص يجد فيه راحته وقد خلا من المودة والرحمة، تأجلت فكرة الإنجاب لتعاودها ذكرى حب مضى ليتجدد الأمل مع قصاصة ورق تركتها واحدة من زميلات الدراسة مدون عليه تليفونه ..هاتفته:

- أحمد ...لابد أن أراك الليلة ..

- إن شاء الله في أقرب وقت ..

- فيلا الأزهار ..الرحاب .....أخبارك؟ أين أنت الآن؟

- في طريقي إلي البيت .

- تزوجت؟

- بنت الجيران ..حياة، لدي منها طفلان ..وأنت؟ مثلك لا يظل بلا زواج، عمارة الكون تنهار!

- كل ما فيك يحيرني! صمتك وكلامك ومواقفك، كلك رجولة، لن أنس أيام المعتقل ، كان شرف لي، والآن ضاع كل شيء .. لم نعد قادرين علي التغيير ..

- التغيير قادم لا محالة طالما الفكرة موجودة، لابد أن نتغير، تذكري أن الجاهل لا يثور .

- الكلام جميل ..لقد تغيرت كثيراً .

- لم أتغير ..

- بل أنا الذي تغيرت..زوجي غيرني وأثر في حياتي، رغم ثروتي وثروة زوجي إلا أنني لا أشعر بالسعادة .. كل يوم المسافات تنأى بيننا .

- إلى هذه الدرجة!

- اشتاق لرؤيتك في أقرب وقت .

- ليكن الغد موعدنا ..

- في بيت ماما بمدينة نصر ..سأنتظرك التاسعة مساءً .

منذ زواج رحاب توطدت العلاقة بينها وبين نسمة ، علاقة لم تنقطع بالاتصال أو الإقامة في فيلا الأزهار لأيام متقطعة وقد حرصت رحاب على إقامة الحفلات وأعياد الميلاد في الفيلا وفي بيت ساسسو بحضور عدد كبير من أصحاب المال والأعمال .. لم تنس دعوة صديقتها لإحياء الحفلات، لم يكن بيت أمها بريئا، شيء ما كان يحدث في الخفاء، عالم رجال الأعمال يكتنفه الغموض، ما بين الدخان الأبيض والأزرق حكايات ترويها الأم للابنة حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود بحضور عدد من النسوة وسيدات الأعمال، علي كل لون احتار احمد في الألوان، عالم غريب صادفه يوم التقى رحاب في شقة مدينة نصر ..ساسّسو شخصية غريبة مثيرة للجدل، رائعة فاقت ابنتها جمالاً ودراية ودربة في معاملة الرجال، في أوائل العقد السادس وقد تدلي من رقبتها عقد فريد ومن أذنيها قرط يحلق بك في فضاء لا نهائي من النشوة، يفوح منه عطر يطوقك قبل أن يرتد إليك طرفك، ومع كل رمش وضحـــكة

تقشـــــعر الأبدان، أصابته العـــين والحيرة معاً وهو القادم من أطراف القاهرة فراح يعب من زجاجات المياه المعدنية، لكنه أبداً لا يقرب الخمر، اعتاد حياة البذخ من طرف واحد بعد أن عرضت عليه أموالاً كثيرة، تنفق في ضراوة وكأنها ستموت غداً، لكنه يأبى أن يمد عيناه لعرق امرأة، قد يمسحه عن جسدها ، أدمنت أنفاسه تستشعرها بين ثنايا جسدها، لم تخف عيناها شيئاً عن عينيه وباح كل رمش للحاجب بما يشقيه، على صدره سالت دموع غزيرة وتعددت اللقاءات والحب واحد وطلعت صبح واحد لا يدري من أمر زوجته شيء، ولا ساسّسو التي دأبت على استقبال رجال الأعمال من أسبوع لأسبوع، لا يتم عقد الصفقات إلا في بيتها وتوطدت العلاقة أكثر بين نسمة وبين رحاب وزوجها وساسّسو وأخريات، لم يفرق بينهم طلعت، المهم أن تتم تجارته بأقل خسائر وأكبر مكسب، رحاب مطمع للرجال، منهم من قدم سيارة فارهة مقابل وعد إلا أنها رفضت، لم تزّل قدمها يوماً مع رجل غير أحمد، لم يكن زوجها غافل عن تلك العلاقة ويتعجب: ما بال أصدقائه لا يُرد لهم طلباً عند ساسسو! لم تعد المسألة خمر ونساء، المسالة في حاجة إلى فك شفرة؟

تعلقت رحاب بصديقها وائتمنته على مالها ونفسها، يلبي رغباتها وتمتّعه متعة يفتقدها مع زوجته في حجرة مربعة تشبه المقبرة وسقف معروش بجذوع النخل، لا تعرف البوح، ترقد بجواره وكأنها في مدرسة للصم والبكم، تعاني سكرات الشوق، تحتضر بين الحين والآخر حتى ظن أن الموت ملاقيها، لكنها ترمش! لغة العيون عندها معطلة يومين في الأسبوع أو أكثر، لا تعّبر عما تريد، لا يعرف إن كانت حية أو انتقلت إلى رحاب الله فيهرب من تحتها كمن لدغه عقرب وقد أدركه تعب

لا طائل من ورائه، يهرع مسرعاً إلى الماء المتساقط على جسده وعلى الأرض محدثاً صوتاً مزعجاً وزوجته ما تزال بين الحياة والنوم، تنهض تحك رأسها بكلتا يديها وتمر بظهر يدها على أنفها ..وقد انتهى من حمامه مسرعاً وارتدى ملابسه ينتظره موعد مع رحاب، عالم غريب يموج بالسحر شعر معه بالاغتراب، الأم والابنة يتنافسان شباباً وأنوثة، رحاب عاشقة وأمها تتطلع إلى عيناه في لهفة تريد أن تستأثر به، لم يصدق! إلى هذا الحد اختلطت مشاعر الأنثى بمشاعر الأمومة! وفي لفتة من أصابعه مررها على خصر ساسّسو فمالت مع عبث الأنامل يميناً ويساراً واستدارت وهى تنحني ببطء حتى تلامسه، ارتد للخلف مستدركاً ما قد يحدث، هو على يقين أنها تريده وها هي تقدم الدليل، شيء ما دفعه للهروب ... لماذا هو بالتحديد؟

من بين أصدقاء ساسّسو كانت نسمة، رائحة عطر ربطت بينهما ذات شفرة مفاتيحها في مدينة نصر .

أفضي لرحاب بما ساوره من شك وتأكد منه بالأمس وكاد يجن .. لا تمانع في وجود علاقة بين أمها وبينه، الأهم عندها رضا الأم! راحت تحذره: ساسّسو هى أمي، في جسدها شيطان مريد وهى كسيدة أعمال ليست سهلة، أنا احبك لكنها لا تعرف المشاعر، تلهو بالرجال كما يلهو القط بالفار وأنت بالنسبة لها فأر صغير وبالنسبة لي أسد جسور وأنا اللبؤة التي منحك الله إياها، افعل بي ما تريد وقت ما تريد فأنا سعيدة بذلك .. خذ من مالي ما شئت، ثلاثون .. أربعون ألفاً ..اشتر لأولادك ملابس جديدة ولزوجتك حياة ..

ارتسمت ملامح الغضب على وجهه رافضاً ما عرضته عليه، تلبسته الشهامة وجعلت بينه وبين مالها حجاب ..

وفي بيته وجد حياة مبتلة الرأس تمشط شعر أطفالها وقد استسلم أحدهم بين رجليها كالأسير، ابتسم في قرف وراح يفكر فيما عرضته عليه رحاب، لا مانع لديها أن يعاشر أمها، عالم غريب، مؤكد أن هناك أبعاد أخرى ستكشف عنها الأيام، وعلى الأريكة رقد يتعجل نور النهار للهروب إلى عمله، حاول أن يغفو في سيارة المصنع مستعيداً ما مر به من أحداث الليلة الماضية: إما أنهم غرباء عنا أو نحن الذين تغربنا في وطننا.

أغلب رجال الأعمال تواطئوا مع السلطة واحتكروا كل شيء واقتحموا عالم السياسة وسنوا القوانين التي تؤسس للفساد وقد تحقق لهم شراء أصول البلاد بالكامل، حتى العمال سرقوهم وأحالوهم إلى الموت البطيء، لقد ساهم هؤلاء في حالة الغليان التي سادت بين طبقات الشعب وأوساط الفقراء ينتظرون شيئاً بدت ملامحه في الأفق، مظاهرات فاقت الحد تواجه بالقمع ويسقط الضحايا بين قتيل وجريح وزادت الوقفات الاحتجاجية ونما الصراع بين المثقف وبين السلطة وقد ظهر ذلك في إحالة عدد من مقدمي البرامج إلى النيابة العامة وأحيل البعض بتهمة إهانة الرئيس، الصحفي إبراهيم عيسي ووائل الإبراشي وغيرهم، ولا ننسى الصحفي عبد الحليم قنديل وغيره من رموز الصحافة الوطنية، أما من آثر الشعر والأدب فكان في مأمن من التحقيقات أمثال فرحات فتحي ومن سار على دربه، على ضفاف الحياة السياسية مازال يمارس نشاطه الأدبي متنقلاً بين النساء عارضاً خدماته في الزواج العرفي،

بينه وبين الحلال أهوال يعيشها مع فوقية زوجته وأم أولاده فماذا تريد أكثر من ذلك، المتعة في الألوان والتغيير والتذوق، تسارعت الأحداث وانشغل الناس بين لقمة العيش وما تسفر عنه التحقيقات وأزمة الخبز وأنابيب الغاز وحوادث الطرق والمواسم والانتخابات والمصايف ووقفات احتجاجية هنا وهناك ..

لم يكن يونس المصري بعيداً عن الأحداث، وتحت زخات المطر دعا إلي صالون السبت لبحث الأوضاع السياسية على الساحة، انتشرت الدعوة عبر التليفون وفي الموعد المحدد تجدد اللقاء، شيء ما يبعث على الحيرة، تغيب كل من رفعت سليمان وحمدي صالح وهو شخصية مرحة زادت همومه مع انحسار الأضواء عنه، كل ذلك أثّر في نفسه، بدأ الصالون بكلمة للأديب ندد فيها بما تقوم به أجهزة الأمن من سياسة القبض والاعتقال للمفكرين والصحفيين وكل صاحب رأي معارض وكأن الحكومة من الملائكة المقربين، هكذا السياسة !

كل شيء مباح للوصول إلى الحد الأدنى، الجماهير تتوق إلى الديمقراطية ولا ديمقراطية مع الجهل ومهمة الكتّاب والفنانين والأدباء إنارة الطريق أمام الجيل الحالي والأجيال اللاحقة حتى تتسلم الراية وتعرف معني الحق والعدل والمساواة وماذا يعني الخير، وتدرك قيمة الجمال، إيماننا بالقيم يجب أن يتحول إلى سلوك، إذا تحقق لنا ذلك تحقق لنا التقدم، التقدم يا سادة عملية تراكمية، كالثقافة فعل وسلوك وممارسة دائمة مستمرة لا تتوقف، علينا وضع الأهداف وإنارة الطريق لمن بيده الأمر، لسنا في صدام مع السلطة ولكن يبدو أن السلطة يطيب لها ذلك، إنني من هنا أوجه نداءاً إلى كل صاحب سلطة ألا يتمادى

في استخدام سلطته فلكل بداية نهاية ...على الحكومة الإفراج عن المعتقلين وسجناء الرأي، الأمور لا تدار هكذا ..نحن في دولة ولسنا في غابة، بالأمس اختطفوا الصديق العزيز عبد الحليم قنديل وجردوه من ملابسه وأوسعوه ضرباً بهدف كسره، لكن الرجل قوي صلب لا تلين عزيمته، عجزوا عن تكميم فمه لكنه لن يصمت أبداً ولن يغيّبه عن الساحة إلا الموت، عرفت هذا الرجل عن قرب، عبد الحليم وغيره كثيرون، ألقت سلطات الأمن القبض عليهم ..إن حرية الفكر وحرية الرأي هي قوام كل مجتمع حر، أرأيتم ماذا فعلوا مع نصر حامد أبو زيد، طلقوا زوجته منه بحكم محكمة، كيف هاجر من وطنه، أري أننا نسير عكس الاتجاه، الأحداث تؤكد ذلك كل يوم ومهمتنا كرجال فكر أن ننبه من لا فكر لهم وشكراً ..

سحب وليد حسني يده من كف نسمة فؤاد وراح يكمل ما انقطع من حديث:

إن ما يتم من استجواب لعدد من الصحفيين ورجال الفكر قبل إحالتهم لمكتب النائب العام ما هو إلا إجراء روتيني لابد منه، حتى الآن لا نثق في كل ما يذاع وما قد يكون ورائه من أهداف والمتهم بريء حتى تثبت إدانته، لقد أحيل هؤلاء وغيرهم إلى المحاكمة وخرج أغلبهم أبرياء، أما من ثبت تورطه مع جهات أجنبية تبث بيانات من شأنها تكدير السلم والأمن الاجتماعي فهذا أمر لن نسمح به على الإطلاق، وبالنسبة للأخ عبد الحليم قنديل رئيس التحرير فقد دأب على نشر مقالات هاجم فيها نظام الحكم وأهان أكبر رأس في الدولة وطبع ونشر كتب كثيرة تُبين أغراضه بلا مواربة ومع ذلك اتسع صدر النظام،

نحن نرحب بالرأي والرأي الآخر، أما عن واقعة اختطافه المزعومة فلم يثبت لدينا بالدليل القاطع شيء كهذا، إننا من دافع قومي ذاتي نتحرك بكل دقة وليس من بيننا من يتحرك بمفرده أو بناء على خيال، واقعة الخطف مختلقة حتى لو رددها البعض، وإن كانت حقيقية فلا شأن لجهاز الأمن بها.

انفعل عبد الستار الصعيدي وبدت عروقه نافرة:

اسمع يا أخ وليد: أولا أنا لا يشرفني الرد عليك ومع ذلك أغالب نفسي لأرد عن الحاضرين مجموعة من الأكاذيب التي تفوهت بها، الحكومة ليست مع حرية الرأي ولا الرأي الآخر، تريد رأياً واحداً ولا تسمع إلا صوتاً واحداً وعلى الجميع أن يصفق لها ..خسارة ..حسبتك خصم شريف، أنت معنا بصفتك فنان وما كنت أود أن تكون معنا بصفة رسمية، عرفتك فنان رقيق، ليت تلك المشاعر أشارت إلى الحق لكنك عمدت إلى تشويه الصورة العامة وتجميل صورة الحكومة التي أنت منها، أسألك وأريد إجابة: ألا يوجد سجناء للرأي في مصر؟ ألا يوجد اعتقال وتعذيب؟ من قام باختطاف عبد الحليم قنديل! أنتم مسئولون عن تأمين حياته، أرجوك لا تحدثني عن الأمن والسلم الاجتماعي، أنتم الذين أضعتموه، أين كنتم من حادثة قطار الصعيد؟ أين كنتم من أحداث الأمن المركزي ومذبحة الأقصر ومحرقة بني سويف التي راح ضحيتها خيرة أبناء مصر من الفنانين والمثقفين، أين كنتم من حرق الكنائس غير مرة، أين كنتم؟ أين وأين ..ألم تسمع بحادثة العبارة! أصابع الاتهام لم تشر لأحد! القاتل مازال حراً طليقاً ..لا .. لا يا صديقي اللدود، الفاعل معروف وأنتم بالتحديد تعرفونه جيداً، أصابعك الذهبية يمكن أن

تحدده وتشير إليه، الشعب عما قريب سيشير إليه بالروح والدم سيكمل شعبنا الأبي المشوار الحضاري حتى تضيق المسافة بين المثقف والسلطة، للمرة الأولى يا سيد وليد أشعر أنك غريب عنا وإذا لم ينتابك هذا الشعور فنحن الغرباء عن هذا الوطن ..

بين شد وجذب انطلقت المناقشات الجانبية بين مؤيد ومعارض مع أو ضد، لكن جموع الكتاب والمفكرين كانوا على قلب رجل واحد وحتى يخفف صاحب الصالون حدة التوتر اقترح إعداد بيان برؤية المثقفين يوقع عليه رئيس اتحاد كتاب مصر ونقيب الصحفيين على أن يقدم لرئاسة الجمهورية، طلب فرحات فتحي الكلمة:

أنا لا اقبل أي تجاوز من الداخلية أو من المواطنين سواء كان بالقول أو الفعل، للدولة هيبتها ولا يجوز لأحد أن يتجاوز في حق رئيس الدولة، أما عن واقعة اختطاف زميلنا الصحفي إذا صحت فأمر غير مقبول والقصة كلها أرى أنها مختلقة يراد بها الإساءة إلى جهازنا الأمني وإلقاء التهم جزافاً لا يليق بالمثقفين ..

وجه من بين الحضور غير معروف في ملابس أزهرية يحمل دفتراً مستطيلاً .. ترى من جاء به؟ لم يعلّق على ما دار من أحاديث وقد جلس جلسة المنتظر بجوار باقات ورد وردت لا يُعرف مصدرها إلا من حروف تعانق كلمات عانقتها جمل وأسطر تراقصت طرباً على كل كارت مصاحب لباقة ورد، فنانين وفنانات زملاء مهنة، نقاد وإعلاميون جمعتهم مشاعر الود، فوجئ رواد الصالون بمأذون الحي عبد النعيم، كم من الزيجات عقدها وفك عراها ولما أدرك الحضور ما يدور, تقدم الجميع مهنئين الناقد السينمائي والسيناريست محمد

ناجي نجيب الذي أشهر إسلامه وفاجأ الحضور بعقد قرانه على الفنانة زينب مكي والناس بين مصدق ومكذب ومستنكر أن يغير أحد دينه من أجل امرأة، رأى آخرون إن الدين لله والوطن للجميع وعقب البعض: لن يباريه أحد في إخلاصه لزينب ..حبه لها فاق إخلاصه لدينه، بدأت الأحاديث ولم تنته إلا مع شروق شمس يوم جديد في حياة زينب مكي ومحمد ناجي ..

تأمل حياته والنجاح الذي حققه معها، صحيح ...هو غير دينه من أجلها، لم تكن تعنيه الديانة المسيحية في شيء ولا الإسلام، رأى أن حياتنا واحدة، كل منا يعبد الله بطريقته التي وجد آباؤه يتعبدون بها، المسجد والكنيسة والمعبد أماكن للعبادة أما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، عبارة طالما سمعها من أصدقائه المسلمين واقتنع بها كعبارة مجردة لا تتعلق بعقيدة معينة، فكر ناجي في الإسلام كديانة لا يعرف عنها إلا القليل، شيء ما شده نحو القراءة ودراسة القرآن وبحكم تردده علي التليفزيون التقي بكثير من مشايخ الأزهر، ناقشهم وحاورهم وجادلهم، في الجنة والنار والوضوء والصوم والزكاة والحج وحكمته، أشياء كثيرة مشتركة بين أصحاب الديانات السماوية وحتى غير السماوية، كلها تهدف إلى سعادة البشر، كثير من الآيات لها وجود في القرآن والإنجيل، ولما لا والله واحد، هكذا مضى به الحال من نجاح إلى نجاح مع زينب وفي عمله كناقد سينمائي وشيئاً فشيئاً قل ظهوره في التليفزيون بعد أن تعمق في دراسة القرآن والسنة ودراسة الإنجيل والتوراة وسائر الديانات الوضعية والمذاهب الفلسفية حتى عرض عليه رئيس أحد القنوات الفضائية أن يقدم برنامجاً دينياً، حلقة كل أسبوع عن وحدة الأديان محققاً بذلك أعلى نسبة مشاهدة على مستوي المحطات الفضائية حتى ذاع

صيته كمقدم برامج دينية ونسي الناس قصة إسلامه وأصبح محمد ناجي نجيب داعية إسلامي شهير، تألقت كذلك زينب مكي حتى أصبحت نجمة السينما والمسرح الأولى في مصر لكن علاقتها بموريس عوض مازالت مستمرة، لم يمنعها زواجها عن موريس! شيء ما يناديها، لا تريد منه شيء وهو يريد كل شيء، لم تكن لديه شجاعة محمد ناجي، مدمن عربيد سكّير متمسك بدينه طول الوقت! قلبها يرق له مع أنه دون المستوى ، مسكين موريس! كم من الفرص أتاحتها له لكن المخدرات أطاحت به، تلبي كل طلباته وتحافظ على شرفها كامرأة، أما ناجي فقد أرقه علاقة موريس بزوجته بعد أن ترددت الشائعات وأثيرت الأقاويل والمشاكل وتدخل أولاد الحلال والحرام موضحين مبالغين، مؤيدين ومنكرين، كيف يكون لها علاقة بهذا الرجل؟ تريد أن تغير دينه هو الآخر! عبارات أثارت غضب زينب وزوجها لكن موريس ظل يستعطفها ويزورها متعللاً بكافة الأعذار، ما بين سيناريو أو فكرة أو طلب مساعدة وناجي يرقب ذلك بحذر، وثار شجار تلو آخر لم تفلح جهود الأصدقاء في احتوائه، ناجي شديد الغيرة وزينب لا تبالي، لقد تحول ناجي إلى الإسلام ويقدم برنامجاً من أنجح البرامج الدينية ويسوءه أن تكون زوجته على علاقة بموريس، فارق في المستوى الفكري والاجتماعي والفني بالإضافة إلى مكانة زوجها الاجتماعية خاصة بعد أن أشهر إسلامه، حتى كان يوم انتهى فيه من تسجيل برنامجه بعد منتصف الليل وفضل أن يتابع البرنامج مع آلاف المشاهدين في بيته وعين الناقد لا تفارقه، يجد متعة في النقد حتى لأعماله، اقترب من باب الشقة فوجد الأنوار مضاءة في الصالون على غير العادة، لابد أن

هناك زائر ... من يا ترى؟ الساعة تقترب من الواحدة صباحاً، دلف إلى الداخل بعد أن أدار مفتاح الباب دورتين، ساورته الشكوك والريب، الأضواء مبهرة ولا أحد بالداخل، مال برأسه إلى حجرة المكتب وعينه على حجرة الصالون، عطر أعلن عن نفسه بقوة باحت به الأركان وزينب في حال من الارتباك، تتردد بين الأرجاء يتابعها العطر الغريب كلما دنت منه أو بعدت وكأنه ظلها، لم تشعر بزوجها، شيء من الغموض خيم على الصمت، العطر لا يمشي على قدمين.. من صاحبه؟ متى جاء ومتى غادر وماذا كان يفعل؟ بين سؤال وجواب وانفعال وهدوء مشوب بالحذر تسارعت دقات قلبه وارتد عائداً من حيث أتى بين تبريرات وتوسلات وشرح، في البداية أنكرت لكنه على يقين أن هناك رجل غادر المكان من لحظات لكنه يقين ينقصه الدليل، صاحب العطر قد جاء على عجل وعلى غير موعد ، لم يقتنع ناجي بكل ما روته وانطلق للخارج قاصداً بيت يونس المصري، طرق الباب في اضطراب وراح يحكي ما كان منها ومنه وما تناقله الناس من شائعات وهو يصرخ:

- تركت ديني من أجلها، ماذا أقدم لها بعد ما قدمت! قدمت لها حياتي ومستقبلي ... حتى صلتي بالله!

- لا تندم على شيء يا صديقي ..

- لست نادماً ..لكن قل لي بربك ...مرحلة إيماني وإشهار إسلامي مرحلة منتهية لا رجعة فيها لكني أسألك: هل للغرام دين علي أتباعه حتى ترضى، قل لي ما اسم هذا الدين وأنا اعتنقه فوراً، كفرت بكل شيء من أجلها والنتيجة كما ترى! لست مرتاح الضمير ولن أهدأ حتى أطلقها .

في تلك الليلة اتصل ناجي بمأذون الحي يستحثه علي الحضور ومعه قسيمة الطلاق ... .

ثمانية وعشرون عاماً مرت على حكم الرئيس مع وزراء توارثوا السلطة أكثر من عشرين عاماً وتتطلعوا إلى توريث رئاسة الدولة والناس في حيرة بين متظاهر ومحتج وحالم ومنتظر فرج من الله قريب، وما بين سجن واعتقال وتعذيب وتفجير هنا وهناك، انشغل الناس بلقمة العيش ..

امتد الفساد ليشمل عائلة الرئيس، حكايات وروايات تناقلها الناس حول فرض شراكات على بعض المواطنين، تلك العوامل زادت من حالة الاحتقان التي يمر بها الشعب، أما التيار الإسلامي فلم يكف عن محاولة التعلق بأذيال الحكم ولو بصفقة، حالة من التردي السياسي والحراك الاجتماعي سادت الأجواء، الانتخابات الأخيرة حصل التيار الإسلامي على ٨٨ مقعداً من مقاعد البرلمان وها هى انتخابات ٢٠١٠ على الأبواب، والتيار مازال يحشد أنصاره في محاولة للاستيلاء على البرلمان بعد أن استولوا على مجالس إدارات النقابات المهنية وامتد تأثيرهم بين طوائف الشعب، في القرى والنجوع بالمساعدات التي قدموها للفقراء حتى تحقق لهم وجود ملموس في الشارع، تمثل ذلك في انتشار ظاهرة الحجاب، آيات الله وظفوها لخدمة أغراضهم، لم يكن لهم سابق خبرة في العمل السياسي الحقيقي، هكذا مضى الحال بمصر، بين الحين والحين تشتعل المظاهرات ولعل أكبرها تلك التي قادها عمال غزل المحلة، هؤلاء الذين بيعت شركاتهم، ليسقط منهم من سقط بين قتيل وجريح ومازالت الإرهاصات مستمرة، ومن الكتاب من كان يمالئ السلطة ومنهم من كان من الأحرار، تزعم فرحات

فتحي الفريق الأول ليحقق أهدافه وطموحه السياسي في إنشاء حزب ليشتهر أكثر ويصبح اسمه على كل لسان وقد كان له ما أراد على غير ما توقع! وتلك حكاية أخرى ... .

لم يخلص فرحات لشعره قدر إخلاصه الغريزي للنساء أمثال أميرة وصفي ونادية عويس، جمعتهم ورقة عرفية لا تقيم الدليل على شيء، من أجل الثانية تخلص من الأولى وتخلص من الثانية من أجل علاقة جديدة تلوح في الأفق وهدنة يلتقط فيها أنفاسه مع زوجته وهي أديبة رقيقة المشاعر, لا تعرف ما يتمتع به من غلظة، تعرفه أكثر من أي امرأة، لكنه يكابر ساعياً إلى التذوق الحسي بدلاً من التذوق الأدبي وما زال يبحث عن علاقة جديدة، علاقة طمع وطموح إلى الشهرة، ذلك المرض الذي أصاب عدد من الناس بعضهم من أصحاب السلطة، الشهرة ..الشهوة ..الفضيحة مرض ثلاثي الأبعاد، لها بريق ولغة وسحر أطاح بعقول هؤلاء المشاهير، منهم من سعى وتلمّس إليها كل طريق حتى إذا تحققت وطغت وضع منظاراً على عينيه، يتوارى من الناس ليعيش كباقي الخلق، ومنهم من تعايش معها بحب، يسعد بتحية الناس وتقديرهم حتى إذا ما انحسرت عنه أصيب بالاكتئاب كما حدث مع الفنان رفعت سليمان، صاحب أكبر عدد من الجوائز والبطولات المطلقة، الناس تبحث عن بطل إن لم تجده في الواقع بحثت عنه في خيال المؤلف والمخرج، مشكلة رفعت أنه لم يفصل بين ما يقوم به من أدوار وبين واقعه وطبيعة الزمن، مهما أعطانا سيأخذ منا، لقد تغير الحال كثيراً وتقلصت مساحة الخيال التي يعيش فيها، شقته يزرعها ذهاباً وإياباً وبجواره دولاب الأدوية، في حال من التوتر بعد أن تخلى عنه أغلب الأصدقاء أو من كان يظنهم كذلك، اشتاق

لرنين التليفون ، خفت رنينه مع خفوت الأضواء، بين الحين والحين يزوره صديقه حمدي صالح رفيق الدرب، لم يكن أسعد منه حالاً لكنه لم يستسلم للاكتئاب فمازال في العمر بقية وباعث للحياة، راح يبحث عنه في عيون الناس وهو في طريقه إلى بيت صديقه، يمر بمقاهي وسط القاهرة يتطلع في عيون الناس بشكل لافت لعل أحدهم يتعرف عليه، يسعده ويشعره أنه مازال على قيد الحياة ، شعيرات بيضاء غزت رأسه، ماذا في ذلك .. وماذا تعني التجاعيد والظهر المنحني؟ مازال القلب شاباً، المشكلة في الناس والأجيال التي تنسى التاريخ، يواصل ترجله بين المارة والمقاهي ولمّا لم يتعرّف عليه أحد لم ييئس ولم يعدم الحيلة إذ مال على أحد المارة يسأله عن عنوان، اقترب منه يدله ويشير يميناً ويساراً متطلعاً إلى عينيه ليصرخ فجأة: حمدي صالح! مؤكد هو أنت؟ متأكد..اقصد أنا علي يقين، إياك أن تكون غيره، تهلل وجه حمدي فرحاً وكأنه طفل واضعاً راحته في راحة الرجل مؤكداً أنه هو وتبادلا السؤال عن الحال والأحوال ليمتد الحديث عشر دقائق أو يزيد وتجمع من المارة عدد سعد به كثيراً حتى انصرف مواصلاً تطلعه للوجوه، قد جاءته الشهرة تسعي على قدمين وتفاعل معها وعاشها حتى سيطرت عليه، لم يستطع التصالح معها بعد أن امتد به العمر ليعيش وحيداً بعد أن مر بعدد كبير من العلاقات النسائية بعضها تجاوز حدود الفراش، ممثلات ناشئات يبحثن عن الشهرة وعن فرصة عمل في الفن، يقدمن أنفسهن طواعية، المرض الوحيد الذي يسعى الناس إليه .

من بين الفنانات نسمة فؤاد، دائمة السؤال عنه، كيف تنسى أنه أول من قدمها، لم يكن حمدي بعيداً عن الوسط الفني ولا

الوسط الأدبي لكنه في حاجة إلى من يتواصل معه بعد أن قلت حركته وزاد وزنه، تواصل مع صديقه رفعت وبعض أصدقاء الصالون، شيء غريب بين أصحاب السلطة وبين المشاهير .

تصاعد الحراك السياسي والاجتماعي وقد تمثل في خروج المظاهرات وتنظيم الوقفات الاحتجاجية من جميع أطياف المجتمع وبين هذا وذاك تشييع جنازة عدد من الفنانين، حالة من الركود عاشتها البلاد، ومواكبة لسياسة الخصخصة أقدم المنتمين إلى الطبقات الفقيرة على بيع أطفالهم بعد أن باع أصحاب السلطة ضمائرهم، راجت تجارة الأعضاء البشرية وتطلع أكثر الناس خارج نطاق الأرض إلى البحر هرباً من جحيم الحياة فزادت محاولات الهجرة غير الشرعية إلى ايطاليا وفرنسا بمراكب صيد متهالكة سقطت بهم في قاع البحر، كل يوم يقدم لنا البحر حكاية عمن غيبهم أو باعدت بينهم الأيام، كتبت الصحف وأذاع التليفزيون لكن الحال بقي على ما هو عليه، توالت الأزمات من أول طوابير الخبز والبطالة والمواصلات وصولاً إلى أنابيب الغاز التي لم تستطع الحكومة حلها رغم نجاحها في تصدير الغاز إلى إسرائيل ليطل شبح معاهدة السلام من جديد، تلك الاتفاقية التي لم تُعرض على الشعب كاملة، كثيرون عاصروها أمثال وليد والأديب يونس المصري، ومازالت الحركات المناهضة لسياسة الحكومة تعمل جاهدة فقد أسس الدكتور عبد الوهاب المسيري مع جورج اسحق وآخرين أسسوا حركة كفاية كما ظهرت حركة ٦ ابريل وحركة ٩ مارس وكثير من منظمات المجتمع المدني، كلها نادت بالتغيير كضرورة حتمية لإخراج الوطن مما هو فيه، تلك الأمور ألقت بظلالها على الدولة .

اقتربت الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠١٠ ومازال التيار الإسلامي يتأهب للاستيلاء على البرلمان وكذلك المستقلون من مرشحي الأحزاب أمثال أيمن نور المعارض الشهير والمرشح السابق لرئاسة الجمهورية، لم يسلم من محاولات التنكيل به .

على الساحة السياسية نفر قليل وأحزاب هشة ومعارضة مدجنة إلا القليل ، حتى هؤلاء داروا في فلك السلطة محققين مصالح ومفاسد كبيرة، تمثل ذلك في قضية أكياس الدم الملوثة وغيرها من وقائع الفساد، في ظل هذه الأحداث أجرى الأديب يونس المصري عدد من الاتصالات لعقد صالون عاجل في السابعة مساء حضره كل من الشاعر عبد الستار ووليد حسني ونسمة فؤاد وزينب مكي برفقة موريس عوض، كذلك حضر فرحات فتحي وقد تغيب كل من حمدي صالح ورفعت سليمان ومقدم البرامج الدينية محمد ناجي تجنباً للقاء زينب مكي التي انفصل عنها مؤخراً، احتقن الجو أكثر من ذي قبل في الداخل والخارج خاصة بعد مقتل الشاب خالد سعيد على يد رجال مباحث وزارة الداخلية بالإسكندرية وقد أثار موته موجة غضب شعبية في مصر وردود أفعال من منظمات حقوقية عالمية أعقبتها سلسلة احتجاجات دعت إليها منظمات حقوق الإنسان متهمين الشرطة بممارسة التعذيب في ظل حالة الطوارئ المفروضة منذ عام ١٩٨١ مما زاد من وتيرة الاحتجاجات لتشهد الإسكندرية أحداثاً دامية كانت مقدمة لتقويض أركان النظام واقتربت مصر من حافة البركان أكثر من أي وقت .

انعقد الصالون وانبرى وليد حسني مدافعاً عن سياسية وزارة الداخلية:

حررنا محضر وأحلنا القضية برمتها إلى النيابة العامة ومن ثم إلى القضاء وقد تم تبرئة المتهمين استناداً إلى ما جاء في تقرير الطبيب الشرعي ....

لم يدعه يكمل وراح يهاجم الشرطة ومن يعملون بها ذلك هو عبد الستار :

أنه لشيء مخزي أن يلقي شاباً مصرعه على يد من ظن يوماً أنه يحميه، إننا نؤمن بالقضاء والقدر حين يتحقق على أرض الواقع بصورة منطقية، أما بهذا الشكل فنحن لا نؤمن بقضائكم ولا قدركم، سيادة العميد: أظنك لا تجهل من أنا وتعرف أيضاً أنني أمضيت من عمري سنوات رهن التعذيب، احترمت فنك وصدق مشاعرك وأصابعك المرهفة وهي تمر علي الأوتار كهمس النسيم، تلك الأصابع العاشقة واليد الحانية كم عذبت أبرياء، لقد عرفت مؤخراً من كان يشرف على تعذيبي وأنا مكبل معصوب العينين، أعمى بفعل فاعل وآنت لا ترحم وتعرف هويتي، أنا إنسان قبل أن أكون مدان، ماذا يضيرك لو تعاملت بإنسانية! العامل المشترك بيني وبينك، من مصادري عرفت اسم معذبي، ومن وضع العصابة على عيني، أتعرفه؟ ملازم أول وليد حسني، خدعوك يا سيدي فتجرعت دمائنا وخسرت نفسك مرتين، حين تلوثت يداك بالتعذيب وحين ادعيت رقة المشاعر وشاركتنا الأدب وأنت أبعد ما تكون عنه، أرجوك.. لا تدافع عن القتلة والمجرمين فأنت منهم ودع الفن والأدب لأصحابه ولا ترهق نفسك حتى لا تكتئب كما اكتأب الذين من قبلك ، نحن موقنون أننا إنما جئنا للحياة في ظرف مؤقت ومكان مؤقت، انظر من كان ومن

سيأتي بعدك وأنا على يقين أن الشعب سيقول كلمته عما قريب .

حالة من الصمت ران على الحضور غير مصدقين يرددون أبصارهم بينهم في ذهول، وكعادته أمسك العصا من المنتصف:

الحقيقة لا أعرف من أصدق، لكن الواقع يشي بالكثير ولا أريد أن اتهم أحداً دون دليل، هل نثق في قضائنا أم لا، سؤال أوجهه إلى الشاعر الكبير عبد الستار، الأحداث مؤسفة لكنا أولاً وأخيراً نعيش في إطار دولة مؤسسات ..وشكراً .

كلمة فرحات لاقت من استهجان الحضور ما لاقت بل وصل الأمر بالبعض إلى الشعور بغُصة تجاهه ونوع من الاحتقار ..

تسلل وليد برفقته نسمة التي تأخرت عنه خطوة، ساراً معا وطنين يملأ رأسه متأثراً بكلمات عبد الستار، الغريب أنه لم يلتق به وجهاً لوجه ولم يوجه له سؤالاً لكن الشاعر بطريقة أو بأخرى توصل إلى شخصية معذبه، هاهو يتعذب تعذيباً أشد، ما أقسى أن يتعذب رجل بحب امرأة هوى هواها في قلبه فأدماه، وليد لا يعرف حتى الآن كيف ارتبطت حياته بحياة راقصة وهو الذي لم يمنح جسده لامرأة من قبل، ربما كان الوحيد من الوسط الشرطي الذي حافظ على بكارته، شيء غريب! لماذا لا يكون الرجل عفيفاً كما يطالب المرأة بالعفة! هل التعفف هو الامتناع عن ممارسة الجنس في إطار غير شرعي؟ لكن كيف تتعفف النفس عن حب من تهوى؟ ذلك أمر لا يطاق، الجنس عند الحيوان والإنسان غريزة أما العشق فله أصحابه وأحواله حدثنا العشاق عنها، فكر وليد أن يسأل عبد الستار ويطلب منه المشورة لكنه تراجع بعد الموقف الأخير، وليد له قلب ومشاعر ربما تفوق الشعراء لكن حظه العاثر أوقعه في حب

راقصة ..نسمة التي لم يعرف غيرها تلاوعه رغم ما قدمه من عروض للزواج، لا يعرف كيف أسرته، تأبطت ذراعه بمحاذاة كورنيش النيل قاصدين فندق سميراميس وفي المواجهة جلسا:

- ألا تريدين أن يكون لك بيتاً وأطفالاً، أن تكوني أما وجدة؟ اقدر الفن وأحب الرقص إن كان منك، نسمة .. تتراقص مشاعري طرباً حين أراك ..

- البعد عن الفن يعني الموت ..

- نتزوج، واصلي الرقص في بيتك نهاراً وخارج البيت ليلاً .. لن أقف أمام طموحك ..

- لا أحب القيود .

- وأنا كذلك اعشق الحرية ..

- كذّاب ..

- أنا ..

- نعم أنت .. كيف تعشق الحرية وتعذب الأحرار؟ أنسيت ما قاله عبد الستار! مثلك لا يعرف الحرية ولا يعرف الحب

- ماذا تقولين؟

- أقول ما سمعت، إن كنت تحبني فلا مانع عندي أما الزواج والسجن والتعذيب فهذا شانك أنت ..

- أتعذب كل يوم ..

- وأنا معك كل يوم ..أما الزواج .....

obeikandl.com

كيف يعشق الرجل امرأة، ماذا يدفعه إلى الشوق مرغماً! غريب ذلك الإنسان يعشق معذبه!

حالـــة مـــن الضعف اعترته وترقرق الدمع في عينه، ماذا يريد منها؟ إن كان يريد الجنس فأمامه العشرات، هو يريد الحب ويرى في نسمة كل نساء الأرض، وفي جو مشحون بالانفعال بين يأس ورجاء انطلق بسيارته إلي مدينة الرحاب وأمام أحد الفيلات أشارت إليه، دلفت للداخل بعد أن دقت جرس الباب، اليوم حفلاً كبيراً بلا مناسبة فكثيراً من المناسبات مفتعلة، اليوم عيد ميلاد ساسّو، سيدة أعمال يشار إليها بالبنان، الحاجب والرمش جارح وعلى الكتفين الشعر بلون الليل منسدل، أما العطروأيامه فقد تجاوز الجسد إلى حدود الجدران وأطلت الجوارح، العاري منها والمستتر تقديره هو .....أدارت الكؤوس الرؤوس واشتعل الرقص شيباً، رجال ونساء لا فرق بين الرايتين والدين لله والوطن للجميع، احمد سعيد مع رحاب وناني وصافي ونسمة في سباق محموم خلا من معني البراءة، أحمد سعيد الثائر أحبته رحاب من أيام الصبا والشباب الأول .. موظف حالياً، لكنه الحب يجمّع ولا يفرّق، المسافة بينها وبين من تهوى كبيرة، إنسان بسيط تعشقه ولا تطيق زوجها، الفجوة بينهما كل يوم تتسع .. أما ساسسو فكانت تدير أعمالها من خلال شقة مدينة نصر، تستقطب رجال الأعمال لعقد الصفقات، سوف تُعقد بشكل أو بآخر يعاونها بعض النسوة من سيدات المجتمع الفضليات لا تشوبهن شائبة، وجد أحمد نفسه واحداً منهم، قدمته إلى أمها وعرّفته على زوجها ومنحته لصديقاتها فهو مصدر ثقة، مما دعا ساسّسو لدعوته على العشاء ومراودته عن نفسه، لم تبد رحاب أي دهشة وتركت الأمر برمته إلى رغباته وعليه

أن يستفتي قلبه وباقي جوارحه لو أراد وحذرته من الصوت والصورة، نظام تسجيل كامل في حجرة نومها، تحتفظ به للضرورة وللمتعة أحياناً ليقع أحمد في حيرة ربما كانت كاذبة وتغار عليه من أمها لكنه يخشي الفضيحة، منعه أيضاً حبه لرحاب أن يمارس الحب مع أمها مهما كانت الإغراءات، رحاب قدمت أكثر لكنه عف اليد دون سائر الأعضاء .

ذات يوم دعته وثلاث من صديقاتها إلى حفل جنس جماعي فاعتراه ما اعتراه من خجل شديد ورفض الفكرة من أساسها مما زاد من ثقتها أكثر وأرادت أن تستقطبه ليدور بينهما حوار:

- يعجبني نظامك ونظرتك للأمور وأمانتك أيضاً ..

- أحب النظام منذ الصغر، ومناهض للنظام أيضاً، نسيت أيام الجامعة؟ كيف اعتقلونا .. تعلق قلبي باسمك قبل أن تراك عيني ..وعشقت سيرتك وحبك للحق والعدل والمساواة .

- لم أعد رحاب الأمس، أنا رحاب ابنة ساسسو سيدة الأعمال، اعمل في تجارة الأراضي وكل شيء ..واحبك ..أنا غير ماما، أجبرني طلعت على أشياء لم استطع رفضها في حينها وصارت جزء من حياتي .

- تقصدين ماذا؟

- لا .. .ما أفعله معك قد أفعله مع غيرك مضطرة .

اكفهر وجهه وتراوحت الألوان عليه ونفسه تموج بصمت يرتجف:

- وماذا عن ساسسو؟

- ماما ...آه ..ماما تفعل ما تريد بكل الطرق، لا شيء يقف أمامها، تبيع وتشتري بالثمن الذي تريد وفارق السعر يدفعه العميل من ماله وشبابه واستقرار أسرته لو أبدى أدني اعتراض.

- وأنا؟

- أعجبني تفكيرك ولك ما تريد، عليك تنظيم أعمالنا ..

- ومن أنتم؟

- أنا وصديقاتي وساسسو ..

- كيف؟

- لا استطيع أن أمنع نفسي عنك ولا أمنعك عن صديقاتي ولا عن ماما، بل هي التي تسعى إليك ، لن نأخذ منك أجراً أما الغريب .. يمكنه أن يفعل مثلك مقابل ٥٠٠ جنيه في الساعة .. فكر وأنا تحت أمرك ..

لم يصدق ما سمعه ولم يدر بنفسه إلا وصوت صفعة قوية على وجهها تبعها بأخرى وصفق الباب من خلفه وقد أضمر في نفسه شيئاً..

مازال المجتمع المصري يموج ببواعث الثورة، ثورة على النفس من قبل التيار الإسلامي وثورة على النظام من المواطن الفقير محدود الدخل المهدر دمه في أقسام الشرطة وعلى الطرقات، ضحية السياسة القمعية لوزارة الداخلية ومازالت القنوات الفضائية تصدح بما تريد ورجال الإعلام منهم الشريف وأكثرهم دون ذلك ومازالت الحالة الاقتصادية منهارة بالتبعية نتيجة للفساد المستشري في أوصال الدولة، كان من نتيجة ذلك أن زادت حالات الإلحاد والبعد عن كل ما

يمت للدين بصلة، وفي الوقت نفسه زاد التقرب إلى الله بشكل مبالغ فيه، تطرف في الكفر وفي الإيمان، إما البعد عن الله أو التقرب منه بقوة للخروج من هذه الدائرة العبثية، لتنحصر مشكلات المجتمع في اللحية والجلباب وختان الإناث وإرضاع الكبير قبل الصغير وزنا المحارم وتجارة الأعضاء في الوقت الذي خرج فيه العالم منذ عقود طويلة إلى الفضاء الخارجي ودخلنا نحن في مرحلة من التيه والضياع والفضاء العقلي، تخلت الألفاظ عن معانيها وضاع الحلم بالأمان والانتماء، حالة من اللاوعي المتبادل بين الناس وبين الدولة عاشها المجتمع .

وكما انحسرت الشهرة عن رفعت سليمان وحمدي صالح وغيرهم، انحسرت أيضاً عن زينب مكي لكن ما لديها يكفيها وموريس عوض الذي دمره الإدمان ومحا ما تبقى في وجهه من وسامة عشقتها زينب قبل وبعد انفصالها عن محمد ناجي، يتردد عليها بلا مواعيد يستدر عطفها ويطلب المزيد من المال، بمفردها تقيم لا يسأل عنها إلا مريم ابنة شقيقتها التي راحت تتصل بها في تلك الليلة دون رد، ليس من طبعها النوم مبكراً لتعاود مريم الاتصال دون جدوى، رجّحت أن تكون خارج البيت أو نامت لتعاود الاتصال صباحاً، وتواصل الاتصال حتى طال زملائها في الوسط الفني، لم يسفر البحث عن أمل، فكرت في موريس ربما يعرف عنها خبراً، انقطعت أخباره هو الآخر وتحرر محضراً وفتح باب الشقة بمعرفة الشرطة لتعثر على زينب مسجّاة على ظهرها بكامل ملابسها وخيط من الدماء يصل بين باب الشقة وحجرة نومها، العثور على القاتل بات قريباً، انتقل الخبر كالنار يصك أسماع الفنانين وانطلقت التكهنات حول شخصية القاتل ..ترى من يكون! موريس؟ وتردد سؤال بريء

من رجل خبيث عن سر غرامها بأصحاب الديانات الأخرى؟

مازالت الشرطة تحاول الوصول إلى القاتل لكن رجال البحث الجنائي وأمن الدولة مشغولون بالأمن السياسي ، الانتخابات باتت قريبة والتيار الإسلامي أقسم أن يحصد أكثر من نصف مقاعد البرلمان وعلى أجهزة الأمن إجهاض هذا الطموح الذي يؤيده الواقع إذا سارت الأمور في طبيعتها وبلا تدخل من الدولة ولكن هيهات أن يحدث، الحكومة لن تسمح إلا بسيطرة الحزب الحاكم، أما كفى ما حدث في انتخابات ٢٠٠٥ .

تابع فرحات قضية مقتل زينب مكي وتابع أكثر الإعداد للانتخابات البرلمانية، عينه على صاحب القرار دائماً والمدافع الأول عن النظام، يجيد مسك العصا من المنتصف ليرقص بها في الوقت المناسب، فكر في خوض الانتخابات أو إنشاء حزب ينفذ من خلاله لكن مشكلة المال مازالت تؤرقه، وجدها فيمن كانت تسير على خطاه، من الإسكندرية جاءت، لديها أموالاً كثيرة ورثتها عن زوجها الأول أما الحالي فلم يُرض طموحها كأنثى، تاجر وسمسار عقارات لا يفهم في المشاعر إلا ما يؤدي به الغرض، مدرّسة في مدرسة بنات، ودت لو عملت بالجامعة بعد حصولها على الماجستير ومن خلال بعض الأشعار صور لها خيالها أنها شاعرة وحدثتها نفسها أن تطبع ديواناً تقدمت به للحصول على عضوية نقابة الأدباء وبالإجماع رُفض طلبها فراحت تسأل بعينيها وأذنيها وكل جوارحها: كيف الوصول؟ كيف تصبح كاتبة، موهوبة ولا شك في أشياء ربما كانت بعيدة عن الشعر والمشاعر، راحت تجوب الطرقات والأروقة في لهفة حتى استقرت على الأريكة

في صالون جريدة شمس النهار، لمحت في عينيه ما يسكّن جوارحها، عن مجدها الأدبي القادم حدثها وكأنه يقرأ في كتاب: سيكون لك شأن، الشاعرات قلائل في العالم العربي وفي مصر ، نورك سيبزغ يوماً في سماء المنطقة العربية، سيملأ الأرض عطراً، ثم عرج إلى ملابسها وكيف أنها أحكمت الحصار حول خصرها حتى لا يتطاير منه شرر يذيب القلب وفي مكر تساءل محدقاً في عينيها الضيقتين: من السبب .. القلب أم العين؟ أغضت حياءً مصطنعاً وتعددت اللقاءات عبر لمسة اليد حتى راحت راحتاهما في عناق لتمتد تعابث الخد والعنق وتغوص في اللحظة المناسبة لتستسلم في لهفة، هى تعرف ما تريد وهو أيضاً فالحزب يحتاج إلى مصروفات ومقر وعضوية، يحتاج إلى شعر ونثر، نثرت على مكتبه ما يفوق أطماعه وشاركها في تأليف ديوان آخر ودراسة نقدية ولقاءات اصطحبها إليها، فضلت الهروب الدائم من سمسار العقارات زوجها حتى ساءت العلاقة بينهما لتنتهي بالطلاق خلعاً بتشجيع من فرحات بعد أن داعبت طموحه، استغرقته في البيت والطريق ومقر الجريدة، تلك المرأة التي انتقدها كل من رآها، بينها وبين الأنوثة علاقة ثأرية، وتساءل أكثرهم: ماذا جرى لفرحات!

وضعته أمام الأمر الواقع تريد الزواج وهو يرفع راية الاستقلال مردداً: ما أحلى عيشة الحرية بورقة عرفية، الحرية أن يشعر الإنسان بنفسه، يفعل ما يريد وقتما يريد والزواج رضا وقبول ليستمر الوضع ما يقرب من عام ليسأل الناس في حيرة ومكر مواز عن سر تلك العلاقة؟ على المقاهي وفي الطرقات وفي الجريدة: من تكون هذه المرأة؟ حنان سلامة شاعرة الإسكندرية هكذا كان يقدمها للناس، تكاثر الهمس

وتحول إلى كلمات وعبارات خادشة، لم يرع حرمة المكتب ليمضي في طريقه يعد العدة لتأسيس الحزب بجمع التوكيلات واختيار المقر الذي تبرعت به حنان

تعددت اللقاءات بين المنشغلين بالهم العام واندلعت المظاهرات في كل مكان وسياسة الدولة لم تتغير، لم يبق إلا أيام وتجرى الانتخابات، لم يكن الكتاب والمثقفون ببعيد عن مسار الأحداث، منهم من تواطأ مع السلطة وكان بوقاً عالياً، القليل من كان صاحب رأي حر، كان ومن معه تحت رقابة الأجهزة الأمنية، جماعة ٦ ابريل ومركز بن خلدون وحركة كفاية و٩ مارس وتيار الاستقلال وكل من دعا إلى التغيير بالإضافة إلى رموز التيار الديني، حتى الوقفات الاحتجاجية على سلالم نقابة الصحفيين وأمام دار القضاء العالي لم تسلم من الملاحقة والمتابعة، فقد لجأ رجال الأمن إلى أسلوب فريد لم يعرفه العالم في فض المظاهرات النسائية بالتحرش بهن وتعريتهن لإجبارهن على فض التظاهر، أسلوب رخيص لجأت إليه السلطات، مازال الناس في انتظار لحظة التنوير، لحظة انطلاق تهدف إلى التغيير والانتقال من واقع إلى واقع جديد مناسب لآدميتهم بعد شعور بالاغتراب مرير .

في تلك الأجواء جرت الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠١٠ وقد أحكمت الحكومة قبضتها على الناخبين والمرشحين، كان التزوير فاضحاً بالنسبة للمرشحين على قوائم الأحزاب أو المستقلين خاصة المنتمين للتيار الإسلامي، بعضهم لم يحصل على صوتً واحد، حتى صوته! وصرح أحدهم: لن أطعن في نتيجة الانتخابات ..سأسلم بنزاهتها ولكن من حقي السؤال:

أين ذهب صوتي وصوت أولادي وأبناء دائرتي ومعارفي وأصدقائي! لتزداد حدة التوتر في البلاد مما اضطر رموز المعارضة لتكوين برلمان مواز يتخذ من القرارات والمواقف السياسية ما يعبر عن وجهة نظره لا وجهة نظر الحكومة الأمر الذي أثار سخرية رأس الدولة ليزداد الاحتقان بين الشعب، مر ما يقرب من شهرين على الانتخابات والأحوال تسير من سيء إلى أسوأ وتم إحالة من ناقش موضوع التزوير علي الفضائيات للتحقيق، الفقراء والبسطاء يتابعون الموقف عن كثب فالبلد ليست لهم، بلاد الذين يشبهونهم في الملامح، مما دعا يونس المصري للدعوة إلى عقد صالون السبت لمناقشة ما يجري على الساحة السياسية وأحوال المعتقلين السياسيين، من بين الحضور محمد ناجي الذي بدا متأثراً بمقتل طليقته زينب مكي كذلك حضر فرحات فتحي تسبقه سيرة غير عطرة مع صديقته حنان سلامة .

بدأ الأديب كلمته مرحباً بالضيوف ومقدماً العزاء في زينب مكي وطالب الحضور بالوقوف دقيقة حداداً على روحها وعلى ما يحدث في مصر: الأمر جد خطير، كل الاحتمالات قائمة ما لم تتدارك الحكومة ما حدث من تزوير فج وتعدّل المسار السياسي وتسمح بالحرية وتقبل الرأي والرأي الآخر وأضاف: إن ما يحدث على الساحة السياسية له تأثير مباشر علي النواحي الفنية والثقافية وكل قطاعات الدولة ..

وعقب انتهاء كلمته تقدم الحضور بالعزاء لمحمد ناجي، مصرع زينب مكي أحدث صدمة كبيرة في الوسط الفني وفي كل الأوساط فالعلاقة بينها وبين قاتلها لم تكن تسمح أو تؤدي إلى القتل، مال قلبها له ولم يتوقع أحد أن تكون نهايتها على

يد قاتلها، علاقة طمع من طرف واحد وعلاقة عطف وحب ومساعدة من طرف واحد أيضاً، لم يلتق الطرفان على الحق أبداً وكذلك كانت النهاية مأساوية .

تغيب عن الحضور رفعت سليمان وصديقه حمدي صالح أما عبد الستار فقد ألقي قصيدة رثاء في مصر لتسري حالة من التشاؤم بين الحضور .

انتهي الصالون كما بدأ نهاية خيم الصمت عليها حتى شمل وليد ونسمة ليغادر الجميع كل إلى جهة لا يعلمها الآخر أما وليد فقد انطلق بسيارته ومعه نسمة وبجوار فيلا الأزهار توقفت السيارة، لم تنس نسمة أن تضع قبلة في فمه قبل أن تدلف للداخل ..

obeikandl.com

أعد البسطاء من الناس والكبراء أنفسهم للاحتفال بليلة رأس السنة، في منشية ناصر والدويقة والمطرية وسائر الأحياء الشعبية، في طوابير اصطف الناس أمام محلات الحلوى والفول السوداني والفاكهة، يمنون أنفسهم بقضاء ليلة غير تقليدية، زادت حركة الأقباط في الشارع وخرج المئات من كل حي لشراء لوازم العيد واقتربت ليلة رأس السنة من المنتصف ومازالت احتفالات الأقباط مستمرة حتى تجاوزت الساعة منتصف الليل بعشرين دقيقة، هرع الناس على صوت انفجار ضخم بكنيسة القديسين بالإسكندرية، راح ضحيته العشرات وبعض حراس الكنيسة من المسلمين وقد أعلنت الحكومة عن وقوع حادث إرهابي ومازال البحث مستمراً، كم من الأحداث وقعت والفاعل مازال مجهولاً، توقيت معلوم غير مبرر ليستمر إحساس الشعب بالخطر وبحاجتهم إلى جهود وزارة الداخلية لمكافحة الإرهاب في الوقت الذي راحت تعد فيه للاحتفال بعيد الشرطة في الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، اجتمعت الفصائل السياسية المعارضة ورموز التيار الإسلامي وكان قد تم إلقاء القبض على أكثرهم، اجتمع هؤلاء للخروج للمطالبة بإقالة وزير الداخلية والإصلاح السياسي والإفراج عن سجناء الرأي وكل المعتقلين، انضم آلاف من طوائف الشعب إلى المظاهرات وسرعان ما ارتفع سقف المطالبات ليخرج الشعب كله إلى ميدان التحرير، وتحولت ميادين مصر إلى ميادين للتحرير وأقيمت المنصات تعلن من خلالها المطالبات، هبت الداخلية بمدافع المياه وطلقات الخرطوش والهراوات والطلقات المطاطية والحية تفرّق المتظاهرين ليسقط المئات بين قتيل وجريح ليشتعل الغضب الشعبي أكثر ويخرج الناس عن

بكرة أبيهم ليرتفع سقف المطالبات أكثر، أراد الشعب إسقاط النظام ومع تراخي الحكومة فيما تتخذه من إجراءات انطلق المارد من محبسه بعد ثلاثين عاماً من القمع حتى استجاب القدر ونزل الرئيس وأسرته على رغبة الشعب بعد سقوط ألفاً من الشهداء وتولى الجيش حكم البلاد تمهيداً لإجراء انتخابات رئاسية بين عدد من مرشحي التيار الإسلامي وغيره، لم يكن المثقفين ببعيد عن مسرح الأحداث فقد توافد المئات منهم إلى كل ميادين الثورة، هرع الشاعر عبد الستار مهروﻻً, أوشك الحلم أن يتحقق، منذ زمان بعيد والشعب يبحث عن بطل، عمن يعيد إليه ماء وجهه ويرد غربته بعد أن تحولت مصر إلى متاهة كبرى، ترى .. من يكون البطل؟ لم يكن هناك بطل محدد، كل من دعا للثورة بطل، احتشد الفنانون والكتاب والمثقفون وعدد من مخرجي السينما ومعهم عبد الستار الصعيدي وفرحات فتحي وصديقته حنان سلامة ويونس المصري وأبدع الشعب كما لم يبدع شعباً آخر، تعالت الهتافات تطالب بالعيش والحرية والعدالة الاجتماعية، يا له من شعب طيب! من يحفظ له كرامته يدافعون عنه حتى الموت وينقشون اسمه على جدار القلب، فوجئ الجمع بحضور الفنان رفعت سليمان وصديقه حمدي صالح أما وليد حسني فقد انقطعت أخباره منذ بداية الأحداث التي اشتعلت يوماً بعد يوم لتبلغ ذروتها يوم الثامن والعشرين من يناير، يوم سقطت وزارة الداخلية وتعرضت أقسام الشرطة للاقتحام ومديريات الأمن في كل المحافظات وفُتحت السجون وتم تهريب المجرمين والأبرياء على السواء، الوضع كان ملتبساً فقد خرج الناس بتلقائية يستعيدون كرامة مهدرة لينتهي الأمر بخروج رأس النظام وأسرته إلى أحد القصور في مدينة

شرم الشيخ وزادت الحيرة أكثر بتولي الجيش حكم البلاد .

انهارت وزارة الداخلية وحوصر جهاز مباحث أمن الدولة وتم تسريح عدد كبير من الضباط على رأسهم العميد وليد حسني، لم ينس فرحات طموحه وولعه بالشهرة، ها هي الفرصة قد واتته، خرج ومن معه حاملين أعلام مصر ومكبراً للصوت ينادي: عيش حرية .. كرامة إنسانية وحنان سلامة تشاركه الهتاف وهي تلف ذراعيها حول خصره النحيل، المنصة الرئيسة ترأسها قائد من قادة الثورة الحقيقيين .. عبد الحليم قنديل وغيره من المخلصين، وتوافد أيضاً كل من ترشح في الانتخابات البرلمانية الأخيرة وأخفق وتوارى كل من اجتازها بالتزوير، لم يظهر أي من رموز الحزب الحاكم حتى أحالهم النائب العام إلى التحقيق بما فيهم رئيس الحزب، وتباري كل صاحب طموح وكل مدع وولوع بالشهرة وكذلك كل وطني تباروا جميعاً، أيهم ينشئ حزباً حتى بلغ عدد الأحزاب تسعون، لم ينس فرحات نفسه وداعبته أحلامه بعد أن استأجرت صديقته مقراً للحزب المزمع إنشاءه، وضع برنامجاً يحمل من الشعارات أكثر مما يحمل من مبادئ، حرره بذكاء المؤيد ومكر المعارض فكان مؤيداً في صورة معارض على طول الخط وراح يجمع التوكيلات بهمة ونشاط ليواصل الليل بالنهار في الجلوس على المقاهي وبث أفكاره التقدمية وأنه لابد من التغيير وأنه كان من أكبر دعاة الثورة والمنظّرين لها، للأسف صدقه البعض وانفض عنه آخرون نتيجة لعلاقاته المريبة بالنساء، ومازال يتنقل من مقهى لأخر يوعد هذا ويواعد تلك على أمل أن يجمع أكبر عدد من أنصاره ..

مازال الوضع ملتبساً والأمن غير مستقر وقد تم تسريح مئات الضباط ونقلهم من أماكن عملهم، كانت شرطة الآداب من نصيب وليد حسني مما أسعد نسمة، العمل في أمن الدولة له مخاطر، أما شرطة الآداب فلها مذاق خاص، انتابه شعور بالحسرة، لم يكن سعيداً فلم تخرج علاقته بالمرأة عن أمه وشقيقاته ونسمة، تلك المرأة التي أحبها بعمق ترفض الزواج منه! مئات غيرها يتمنين الستر، لا يرضيها الحلال، تود أن تعيش حياتها في حرية، ألم تناد بالثورة! ثائرة تجد حريتها في فيلا الرحاب، طعام وشراب وصحبة، فيلا الأزهار تعج بالضيوف، موسيقى راقصة وخصر يتلوى، يعتصره ألم دفين بدا في العيون الساهرة المؤرقة والعروق النافرة ورغبات صادقة لا تعرف الكذب لمحتها في العيون الظمأى، الحرمان مكتوب على الإنسان في كل مكان، مرت بها لحظات تمنت الخلاص من نفسها، وليد يحبها بصدق لكنها لم تشعر بحبه ينساب في أوصالها حتى وهي معه تبحث عن إنسان صادق، رجل واحد فقط ينقلها إلى الجنة التي تبحث عنها لتمضي حياتها بعد أن ضل قلبها الطريق مع رفيقة الدرب رحاب شاهين، تنقلت معها من فراش إلى فراش، تبادلن أحاديث الحب والجوى، حدثتها عن حبها لأحمد، اليوم تنتظره على العشاء، تزينت وتعطرت وأمام المرآة جلست ساعات تحدثها لينتقل الحديث من المرآة إلى نسمة:

لم أشعر بمعنى الحياة إلا معه، شعرت برجولته وهو لم يزل بعد شاباً .. مناضلاً، صاحب طموح كبير وقلب محمّل بالمثل والقيم، كم حلمنا بالحق يسود المجتمع والخير يعم الناس والجمال يغمر الأرض حتى اعتقلونا، تعمقت صلتي به أكثر وتجذرت داخلي بعد خروجه من المعتقل، سمعت عنه وتمنيت

أن تقع عليه عيناي، وأن أشم نسيم الحرية من عبق روحه لكنه كغيره من الشباب كفر بكل شيء وكذلك أنا وكأنما كتب على أولاد الفقراء أن يظلوا كذلك، خرج إلى الميدان الكبير مشاركاً في الثورة وكغيره خرج منها محبطاً لذلك لم أخرج، واكتفيت بعملي مع رجال المال والأعمال وتزوجت من أحدهم وتزوج هو من حياة، صدقيني الجنس معه له طعم آخر، يأخذك إلى آفاق بعيدة ويحلق بك إلى ما وراء وراء ..

شردت نسمة وانتقلت إلى عالم آخر تمنت أن تعيش فيه:

- حدثيني أكثر ..على كثرة ما عرفت من الرجال لم أعرف للفرح طعماً حتى الآن .

استمرت العلاقة بين نسمة ورحاب وأمها ساسّسو وصديقاتها، تعددت الأسماء والشيطان واحد، استمرت علاقة رحاب بأحمد أقوى من أي وقت مضى، لكن ما عرضته عليه أرّقه كثيراً، لم تكن فتاة الأمس التي اعتقلت من أجل الحرية، أهي تلك الحرية التي كانت تقاتل من أجلها!

العلاقة مستمرة وان شابها التوتر، ود لو أحرق البيت كله، بيت كل شيء فيه مباح، لابد من الثورة واقتلاع جذور الفساد، الثورة ليست في الميدان فقط ولا في الفراش، الثورة مازالت مشتعلة في قلبه تدعوه للتغيير وإنقاذ ما يمكن إنقاذه .. مازالت الأجواء في البلاد غير مستقرة، لأحداث الثورة تداعيات، انتقل المجتمع من حال إلى حال وراحت الداخلية تعيد ترتيب الأوراق، هاهو وليد حسني قد انتقل إلى مجال لا يجد فيه نفسه، كل يوم قصة وحكاية أغرب من الخيال، نساء ورجال وأرامل ومطلقات وأخريات، تطورت أساليب الدعارة كما تطور كل شيء وأصبح

اصطياد الفريسة لا يخضع للأساليب السابق ورودها في محاضر الشرطة القديمة، يطالع الأوراق ويتابع وبينما هو كذلك إذ سمع طرقات مكتومة والحارس يخبره أن هناك من يطلبه لأمر هام، تتابعت أنفاس الشاب وهو يسحب مقعداً حتى هدأ تماماً:

- الاسم والسن والعنوان ..

-هذا عنواني .....والعنوان الذي اقصده .....

- ما معلوماتك؟ متى لاحظت ذلك؟

- لاحظت!

- ما الذي دفعك للإبلاغ ؟

- حتى يستريح ضميري ..

- متزوج؟

- الحمد لله ..الخميس القادم حفل كبير وصيد ثمين، في الواحدة بعد منتصف الليل .

- ولماذا الواحدة؟

- قلت ما عندي ..

آثر الفقراء أن يستكملوا الثورة في الفراش، يبدو أن الثورة لم تحقق أهدافها بعد، يلتمس العذر لهم أحياناً، إذا كان الجنس جنتهم فما بال الأغنياء وهم يملكون كل شيء! ما الذي يدفع امرأة لان تبيع جسدها ..أهو الحرمان؟ من الحب أم الجنس أم العاطفة؟ قد تكون حرة في جسدها تمنحه لمن تريد ولكن ما الذي يدفعها إلى الخيانة، أشار وليد إلى مساعده بعمل التحريات اللازمة عن

obeikandl.com

مكان البلاغ ومقدمه ربما كان بلاغاً كاذباً، مازالت التحريات وأحداث الثورة مستمرة، سيطر الجيش على مقاليد الحكم تمهيداً لإجراء انتخابات رئاسية ونما التيار الإسلامي وأشهر حزب الحرية والعدالة وكذلك فعل التيار البرجماتي، لم يدخر فرحات وسعاً لإنشاء الحزب بل سعى سعي الحية لجمع التوكيلات واستقطاب عدد كبير من شباب الثورة على وعد بتوليتهم رئاسة بعض اللجان، مرّ من الوقت الكثير وحزب الإخاء لا يملك إلا مقراً دون أعضاء وتوالت الأحداث على الساحة وتوالى تغيير الوزارات وزادت المطالب الفئوية واستطاعت حكومات الثورة المتعاقبة تهدئة الأوضاع بمنح العلاوات للموظفين حتى لا تتعطل مرافق الدولة ومحاكمة رموز النظام السابق بما فيها رأس النظام وتوالت المشاهد العبثية بشكل يدعو للتأمل مما دعا الأديب يونس المصري لعقد صالون السبت، سارع المدعوون إلى تلبية الدعوة منهم فرحات وبرفقته حنان سلامة والشاعر عبد الستار، حضرت الفنانة نسمة فؤاد بمفردها أما وليد فقد تغيب عن الحضور منذ اندلاع الثورة، كذلك حضر مقدم البرامج الدينية محمد ناجي كما حضر أيضاً عدد من المخرجين والعاملين بالحقل الفني المهتمين بالشأن الثقافي، أما رفعت سليمان فقد أصيب بحالة من الاكتئاب دفعت عدد من كبار مشايخ الأزهر لزيارته يقرءون له القرآن بينما يعرض عليه البعض مقاطع من أفلامه لعله يبعث من جديد أو ترد إليه ذاكرته وكذلك صديقه حمدي صالح يعاني الزهايمر بدرجة كبيرة، لم يعد يذكر اسمه، نجوم كثيرة غيبهم الزمن وأطاحت بهم الشهرة، للشهرة أعراض انسحاب قاتلة يتحملها البعض ويتعايش معها وآخرين لا يستوعبون، يتقمصون أدوارهم مستمتعين بتصفيق

الناس، يعجبون بأدائه لدور ليس دوره ويظل صاحبنا مندمجاً مازجاً بين الواقع والخيال فيصدق نفسه حتى إذا شعر بأعراض الانسحاب رفض واقعه المرير، يتسول من الناس نظرة لعلهم يعرفونه أو يعيدون إليه مجده القديم ولكن هيهات .. مضى قطار العمر سريعاً ولابد من المواجهة والخروج إلى النور، لم يستطع حمدي ولا صديقه رفعت أن يتحملا الخروج إلى نور النهار وتجاهل قطاع كبير من الناس عن غير عمد، استعرض يونس المصري في كلمته أحداث الثورة وتداعيات ما حدث على المثقفين الذين انحسر دورهم ووقفوا حائرين، يؤيدون مطالب الشعب متوجسين من الحكم القادم وعلاقته بالمثقف، أما فرحات فقد أبدى إعجابه بالثورة وبالحكم العسكري المؤقت كضرورة حتمية تمهيداً للانتقال إلى حياة ديمقراطية كاملة، ورأى أن نلتف حول رئيس الجمهورية القادم أياً ما كان اسمه أو التيار المنتمي إليه، إسلامي أو ليبرالي متمنياً أن يكون الرئيس القادم من الجيش ..وهنا قاطعه يونس المصري:

- أما كفانا ستون عاماً من الحكم العسكري! تريد ثلاثون عاماً أخرى يا سيد فرحات!

- الجيش هو المؤسسة الوحيدة المنضبطة في مصر ونحن نريد شعباً منضبطاً ..

احتدم الحوار بينهما وانقسم الحضور بين مؤيد ومعارض وكما بدأ الصالون سريعا انتهى سريعاً .

فرحات يتحدث عن الانضباط! رائحة كريهة فاحت من مكتبه إلى أروقة الجريدة بتردد حنان وبقائها معه حتى ساعة متأخرة من الليل، تسللت الرائحة إلى مكتب الأمن ومكتب

رئيس التحرير ورئيس مجلس الإدارة الذي أوصى باستمرار المراقبة وإعداد التقارير اللازمة لاتخاذ ما يلزم قانوناً .

الصلة موصولة بين وليد ونسمة، هام بها عشقاً وهى تحاوره، حسبه أن يكون معها ، تهوّن عليه عمله، مكافحة الآداب مجال مثير، كل يوم جديد والحكاية واحدة، قد تتغير الأماكن والظروف .

جلس إلى مكتبه يطالع نتيجة التحريات وتأكد من صحة البلاغ، استقل سيارته ومعه عدد من رجال البحث وطاف حول المكان، فيلا أنيقة محاطة بأسوار وأشجار ونخيل وظلال، خُيل إليه أنه مرّ بهذا المكان من قبل، استمر في المعاينة، ساعات قليلة ويحسم الأمر ويتأكد من صحة الواقعة، استدار بسيارته ومن على البعد لمح مقدم البلاغ مترجلاً متوجهاً نحو الفيلا، توقف منتظراً أكثر من ساعة ليلمح مقدم البلاغ مغادراً وبصحبته امرأة في العقد الرابع من عمرها يتجادلان في محاولة لإقناع كل منهما بوجهة نظر الآخر: غداً حفل عيد ميلادها الرابع على التوالي خلال العام، فرصة تتلقى فيها الهدايا، أحدهم وعدها بسيارة لقاء يوم واحد وصاحبنا مصر أن تكون له مساء الغد، يبدو أن في الأمور شيء خفي، تساءل وليد عما جاء بصاحب البلاغ ومدى علاقته بتلك المرأة وترك الأمر للغد مع استمرار المراقبة على مدار الساعة ..

وعلى مدار الساعة أيضا أصدر رئيس مجلس إدارة الجريدة تعليمات لمكتب الأمن باستمرار مراقبة مكتب فرحات حتى كان يوماً حضرت حنان مساءً، دلفت إلى المصعد ومنه إلى الطابق الثاني عشر إلى مكتب فرحات، على أحر من الجمر كان منتظراً، استقبلها لدى الباب ومعها حقيبة ماكياج وأشياء

خاصة بالنساء وغلّقت الأبواب، لم يمر ربع ساعة حتى دفع مكتب الأمن بعامل البوفيه يسأل إن كان يرغب في شيء ..الآن أم بعد قليل؟ حرص فرحات على طلب كم من المأكولات يكفيه ممارسة الحب مرتين وأجزل له العطاء حتى لا يعود مرة أخرى، أرسل مكتب الأمن عاملاً آخر يسأل إن كان يرغب في أي طلبات؟ جاوزت الساعة منتصف الليل موعد انصراف العمال، انزعج فرحات وأجاب بالنفي في اقتضاب ظاهر ....

اقتربت الساعة من الثالثة صباحاً وتم إبلاغ مكتب رئيس مجلس الإدارة والديسك المركزي ومكتب الأمن وتجمّع خلق كثير، من عمال المطبعة تدافع وفد ليكون من الشاهدين، الأمر بات مستفزاً: يجب وضع حداً لهذه المأساة .. لو كان يؤمها في الصلاة لوجد في النهار متسعاً! لماذا يؤمها في هذا التوقيت؟ أليس لها بيت! بالمفتاح الاحتياطي تساءل الناس وأجابتهم حنان بوضع مبتكر وفرحات يبحث عما يداري سؤته، لم يكن خافياً على جمهور المشاهدين أن هناك جريمة تمت، وسيق فرحات ومن معه إلى مكتب الأمن حيث جرى تحقيق سريع حاول خلاله أن ينفي التهمة عن نفسه لكنه لم يستطع أن يقيم الدليل ولو بورقة عرفية أدعى وجودها في بيته وطلب أن يمهلوه حتى صباح اليوم التالي ليهبط سريعاً إلى أقرب محام ويحرر عقداً عرفياً بتاريخ سابق، الورقة ورقة إدانة أكثر منها دليل براءة، لم تقنع مجلس الإدارة إلا بعد أن حولها إلى وثيقة زواج رسمية تاركاً بصمة لن تمحى من ذاكرة العاملين بالجريدة .

مازال فرحات يحاول استكمال التوكيلات لتدشين حزب الإخاء مواصلاً ندواته وقد باع لحمه لامرأة لعوب باعت

زوجها الأول والثاني من أجل الشهرة التي قادتها إلى فضيحة، حققت الشهرة على يد فرحات بعد أن دفعت الثمن من جسدها مقدماً ومالها لاحقاً ومازالت الأحداث مستمرة ..

ومازالت المراقبة مستمرة حتى حانت ساعة الصفر، الثالثة فجر الجمعة ليستمر توافد الرجال وعدد من النسوة واكتظ المكان باللحم من جميع الأوزان، طرقت الباب واحدة من المرشدات التي تم تجهيزها كامرأة ليل، دعتها سيدة المنزل إلى الدخول وبإشارة متفق عليها تم اقتحام المكان والقي القبض على نساء ورجال لا يربط بينهم إلا المتعة والبعض الآخر وحد بينهم المال والأعمال ومقتضى الحال، وسيق الذين وجدوا عرايا إلى سيارة الترحيل وفتح المحضر:

- سعاد عبد الحميد ..٥٤ سنة

- فيلا الأزهار ..مدينة الرحاب .

.....

تساءلت النسوة في حيرة: من كان وراء الحدث؟

تم القبض على سبع سيدات إلا رحاب حرص أحمد على إبعادها فمازالت حبه الأول والأخير ...

في الصباح تم عرض المتهمين على مدير مكتب مكافحة الآداب العميد وليد حسني لتدخل نسمة فؤاد وقد أخفت وجهها بكفيها، تعرّف على ملامحها وهو في حال من الدهشة والغضب والذهول، أخفاها عن الحضور فلم يطف بخاطره يوماً أن تطعنه رغم حبه لها، لم تنطق وانهارت في نوبة من البكاء مريرة وهى

تردد اسمه مرات متتابعة: افعل بي ما شئت .. أنا لا استحقك .. استحق ما أنا فيه وأكثر، عليك بالسير في الإجراءات .. أرجوك، رأى وليد أنها كانت في الفيلا بطريق الصدفة واثبت ذلك في المحضر لتغادر المكان وكأن ما حدث حلم مر كالسحاب ..

شاع خبر القبض على ساسّسو وأثار الأقاويل حول طموح الإنسان رغم امتلاكه الكثير وثار سؤال: كم من المال يحتاج الإنسان وكم من الأرض كذلك، أسئلة كثيرة دارت في الساحة الفنية حول علاقة وليد بالراقصة نسمة التي دخلت الوسط الفني سعياً للشهرة ، الشيء نفسه فعلته حنان سلامة حين ألقت بشباكها حول فرحات فتحي الذي بادلها شباكاً بشباك، هو أيضا يسعى للشهرة بكافة الأساليب بدءً من الطرطور إلى ركوب الموجة في ثورة يناير إلى سعيه لإقامة حزب وفشله في ذلك حتى اللحظة، كل منهما طمع في الأخر، المبادئ المعلن عنها شيء وسلوك الإنسان شيء آخر، تلك الشهرة التي قادت موريس عوض إلى حبل المشنقة وأطاحت بعقل حمدي صالح جان السينما المصرية، هاهو الآن يعاني الزهايمر وصديقه رفعت سليمان يعاني الاكتئاب وكذلك وليد حسني لم يستوعب انحسار الأضواء عنه وانتابه حزن شديد لما آل إليه حال حبيبته .

مازالت أحداث الثورة مستمرة مما دعا الأديب يونس المصري إلى الدعوة إلى عقد صالون السبت وكان موضوع الصالون العلاقة بين الشهرة والفضيحة ..

** المؤلف /
محمود محمد السيد
عضو إتحاد كتاب مصر
Ad7amm@yahoo.com
ت / ٠١٢٢٧١٦٧٩٥١

** الأعمال السابقة

(جزيرة الحياة) رواية
(قلبي ومفتاحه) مجموعة
(مواطن للبيع) مجموعة
(الجوع كافر) مجموعة
(خمارة التقوى) رواية

obeikandl.com

obeikandl.com